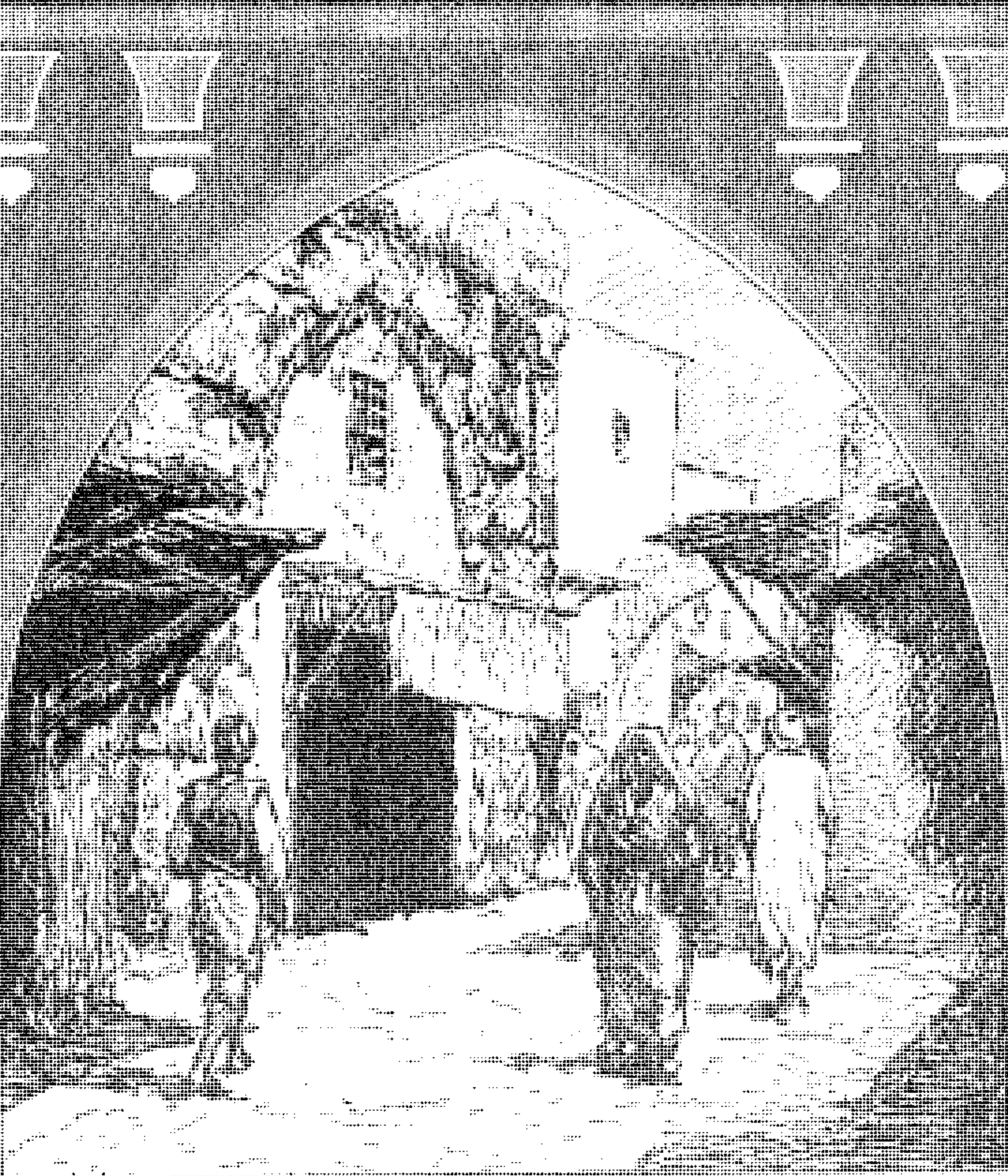


صفحة ليبيا تاريخ وثقافة على الفيسبوك

مكتبة طرابلس

منذ الاستقلال الميثاق حتى العهد البعثي



مكتبة طرابلس

صفحة ليبيا تاريخ وثقافة على الفيسبوك



طباعة انتربرينت يمتد — مالطا

الجمهورية العربية السورية

إدارة التعليم

مصلحة الآثار

مدينة طرابلس

منذ الاستيطان الفينيقي حتى العهد المملوكي

محمود الصديق أبو حسان محمود عبد العزيز المنصور

نشرت بإشراف الإدارة العامة للبحوث الأثرية والمخطوطات التاريخية

١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م

انجمن
الدار العربیة للكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

يسرنا أن نقدم للقراء الكرام هذا الكتيب عن مدينة طرابلس ونشأتها ونبذة مختصرة عن أهم المكتشفات الأثرية التي ترجع إلى العهد الفنيقي والروماني والبيزنطي ، وقد لعبت هذه المدينة دورا تاريخيا هاما حيث كانت ذات مركز تجاري مهم منذ الألف الأول ق م ، فقد استخدمها التجار الفنيقيون أحد مراكزهم التجارية بسواحل الشمال الإفريقي ، وكانت تأتيها البضائع الثمينة من أواسط أفريقيا مثل ريش النعام وناب الفيل وخشب الأبنوس والحيوانات المفترسة التي كانت تباع بأثمان باهظة ، وقد تطورت مدينة طرابلس من مركز تجاري بسيط حتى أصبحت مدينة عامرة استقر فيها الفنيقيون ثم من بعدهم الرومان فالبيزنطيون هذا ولم نعث على أى أثر للوندال الذين غزوا البلاد سنة ٤٥٥ م سوى بعض القطع من العملة البرونزية التي لا تعطينا صورة واضحة عن حالة البلاد في هذه الفترة ، وهذا يجعلنا نقول بأن دورهم الحضاري كان بسيطا جدا فلم يهتموا بالناحية الاقتصادية أو العمرانية باستثناء إقامة حامية صغيرة في البلاد ، ويبدو أنهم لم يقيموا أية تحصينات بل إن جنسريك هدم أسوار مدينتي لبدة وصبراتة وربما مدينة أويا أيضا .

وقد بلغت مدينة طرابلس أوج ازدهارها في القرن الثاني الميلادي ويظهر ذلك من خلال المكتشفات الأثرية التي ترجع إلى تلك الفترة وأهمها قوس الامبراطور مركوس اوريليوس وبعض الطرق المعبدة الرئيسية ، ولم يبق من معالم هذه المدينة إلا التمر اليسير وقد غيرت معالمها المباني التي استحدثت فيما بعد وخاصة بعد دخول العرب سنة ٢٢ هـ ٦٤٣ م ثم في العهد العثماني الذي يبدأ من القرن السادس الميلادي ، وقد توالى على مدينة طرابلس التغيرات والترميمات حتى أصبحت بوضعها الراهن الآن ، وربما تؤدي المكتشفات الأثرية إلى إزاحة اللثام عن معالمها القديمة .

وقد حاولنا هنا أن نلقى الضوء عن أهم المعالم الأثرية الباقية للعيان كما أشرنا إلى أهم المكتشفات الأثرية سواء المكتشفة داخل تخطيط المدينة أو خارجها ، وتحدثنا عن قلعة طرابلس وسور المدينة حيث إن تاريخ إنشائها يعود إلى تاريخ تأسيس مدينة أويا بالرغم من

أن معالمها قد طرأ عليها عدة تغييرات منذ العهد العربي حتى العهد العثماني ، كما أظهرت لنا الحفريات الحديثة عددا من المقابر القديمة وبقايا بعض المباني المعمارية كالحمامات والمنازل والمعابد ، وهذه المكتشفات ذات أهمية كبيرة فهي تبرز لنا حياة سكان مدينة طرابلس وطرق معيشتهم منذ فترة زمنية طويلة ، ولعلنا نكون قد وفقنا في إعطاء القارئ صورة مبسطة عن تاريخ هذه المدينة وأهم معالمها التاريخية منذ نشأتها حتى دخول البيزنطيين إليها ، وقد بقي بعض من السكان البيزنطيين محتفظين بمعتقداتهم الدينية حتى القرن العاشر الميلادي أي بعد استقرار المسلمين بطرابلس ، وهذا يدل على تسامح الدين الإسلامي مع الأديان الأخرى حتى اعتنق كافة السكان الدين الإسلامي عن اقتناع ورضا .

محمود الصديق أبو حامد
محمود عبد العزيز الخمس

طرابلس في يوم الاثنين ٢٢ جادى الآخرة ١٣٩٨ هـ
الموافق ٢٩ مايو ١٩٧٨ م

موقع مدينة طرابلس

تقع مدينة طرابلس على ساحل البحر الأبيض المتوسط شمال خط الاستواء عند خط العرض ٥٦، ٣٢° وعلى خط الطول ١٠، ١٣° شرقى خط غريتشس وهي بذلك تقع في صميم مناخ البحر الأبيض المتوسط على رأس سهل الجفارة ، وتمتع بموقع جغرافى هام تكثرت فيها المراكز الاقتصادية والتجارية والبرية . (١)

هذا وقد تطور اتساع مدينة طرابلس وامتد العمران بها إلى مسافات واسعة حتى شمل خارج السور ، ويظهر من دراستنا لمدينة طرابلس وإلى ماتبينه الخرائط القديمة التي تعود إلى القرن الخامس الميلادى والسادس عشر بأن المدينة تطل على البحر وهي على شكل خماسى غير منتظم يزيد محيطها على الميل على أرضية منبسطة ، ومحاطة بأسوار ذات أربعة أبواب اثنان فى جهة القبلة وهما باب الخندق وباب المنشية وواحد فى الجهة الغربية وهو باب الجديد والرابع فى الجهة الشمالية وهو باب البحر وكانت توجد بالأسوار ستة أبراج وبعض الحصون ، والمدينة داخل السور العتيق بها ست محلات وهي حومة غريان والبلدية وكوشة الصغار وباب البحر والحارة الكبيرة والحارة الصغيرة .

هذا وتوجد جبانة قديمة ما زالت تستعمل للدفن حتى الآن تقع جنوب المدينة على بعد مسافات قليلة ويدل قدمها على علاقتها باسم صحابى مشهور يدعى سيدى منيدر والذى قيل إنه جاء إلى طرابلس أيام موسى بن نصير وقد ذكره النائب فى كتابه المنهل العذب ص ٥٣ (بأن سيدى منيدر هذا جاء من الأندلس إلى طرابلس الغرب وتوفى بها وقبره لدى أهلها مشهور) وقيل إنه توفى سنة ٩٦ هـ . وقد أشار الرحالة التجانى إلى وجود جبانة بشمال المدينة وهناك دفن أبو عبد الرحمن يعقوب بن أبى يعقوب يوسف بن محمد الحارثى الذى ثار على طرابلس على حكم الحفصيين سنة ٩٦٩ هـ ١٢٤٢ م ويحتمل أن المنطقة المحصنة للجبانات فى الشمال الغربى أمام باب زناتة (الباب الجديد) قريبا من أسوار مدينة طرابلس كما توجد

(١) بلدية طرابلس فى مائة عام ص ١٧

جبانة أخرى هدمت عند دخول الطليان إلى البلاد وهي الجبانة التي دفن بها سيدى حمودة أمام السراى الحمواء وهي تشمل الحيز الذى به ميدان الشهداء الآن .^(١)

اسم مدينة طرابلس

طرابلس كلمة يونانية تتكون من مقطعين TRI بمعنى ثلاثة وبوليس POLIS بمعنى مدينة أى أن كلمة طرابلس فى الأصل تعنى ثلاث مدن تريبوليس TRIPOLIS إذ كانت توجد ثلاث مدن رئيسية فى منطقة طرابلس هى لبدة الكبرى وتقع على بعد ١٢٥ كم شرق طرابلس ، ومدينة أويا تقع مكان مدينة طرابلس القديمة ، ثم مدينة صبراتة تقع على بعد ٧٠ كم غربى مدينة طرابلس بالإضافة إلى ذلك كان يوجد العديد من المستوطنات بضواحي المدينة مثل مستوطنة تاجوراء وتدعى قديما بتريس Ad Algam Turris ويعتقد أن موقعها عند حفائر تاجوراء التي اكتشفت سنة ١٩٦٤ م وتوجد مستوطنات أخرى بطرابلس مثل مستوطنة قرزة الكائنة بجنوب بنى وليد ومستوطنة مسنى Mesphe بالقرب من الخضراء بترهونة ، ونودهننا أن نتحدث عن مدينة أويا Oea طرابلس الحالية وتطور اسمها منذ العصر الفينيقي حتى بداية الفتح العربى سنة ٦٤٣ م .

لقد اختلفت الآراء وتعددت فى أصل تسمية مدينة طرابلس ، وقد ادعى ماريانى وبونى أن موقع أويا كان مستوطنا منذ عهود ما قبل التاريخ ، أما الاستقرار الأول بساحل طرابلس فيجوز أن يكون قد بدأ مع دخول الفينيقيين ما بين سنة ١٢٠٠ ق م وسنة ٩٠٠ ق م . ويعتقد المؤرخ مولر أن اسم أويا جاء من أصل لىبي وهو ايات وقد وجد فى النقود البونيقية التي عثر عليها فى طرابلس واشتقت منه كلمة أويات Uait وهي أيضا إحدى التسميات طرابلس و « وأويات » كان اسم قبيلة ليبية اندثرت بمرور الزمن هذا وإن

(١) هدمت المقبرة المواجهة للسراى الحمراء فى العهد الإيطالى وأنشئ فى مكانها ميدان كبير يسمى الآن بميدان الشهداء ونقل ضريح سيدى حمودة الملاصق للسراى الحمراء داخل مبنى الجامع الذى بنى سنة ١٩١٤ م وسمى باسم سيدى حمودة الذى ذكره عبد السلام بن عثمان فى القرن العاشر الهجرى فى كتابه الإشارات لبعض ما بطرابلس الغرب من مزارات (أنه دفن قرب مدينة طرابلس وأنه رأى من رآه) .

المؤرخ سيليوس ايتاليكوس يُسمّى الفنيقيين الذين استقروا بطرابلس (ترينكارايوس افريس
بير ميكسا كولونس) (Trinacrios Afris Per Mixta Colonos) أى أن المدينة
كانت مستوطنة من قبل الفنيقيين الوافدين إليها من جزيرة صقلية .

وقد عثر على قطعة من العملة عليها الحروف اللاتينية الآتية التى تذكر اسم اويا
C.A.O.A.E. وهى اختزال للجملة اللاتينية Colonia Antoniana Oea Augusta
Felix ومعناها (مستعمرة اويا الانطونية الكبيرة السعيدة) . ونحن نعلم أن مدينة لبدة
رفعت إلى مرتبة مستعمرة سنة (١٠٩ — ١١٠ م) فى عهد الامبراطور تراجان ويبدو أن
مدينة « اويا » حصلت على هذه المرتبة أيضا أسوة بمدينة « لبدة » فى وقت لاحق على عهد
الامبراطور انطونيوس بيوس سنة ١٣٨ — ١٦١ م . أما المؤرخ ستاد يازموس مارييس
ماقنا فيذكر بأن المدينة كان اسمها ماكاريا نسبة إلى ملكارت الاله الفنيقى الذى يقابل هرقل
عند اليونان وقد عثر على عملة عليها كتابة بونيقية هى (اويات بلات ماكار) Oeath
Bilath Macar بينما يشير المؤرخ بومينوس إلى مدينة طرابلس باللاتينى هكذا Oea
Oppidum وكتب استرابو اويا بهذه الطريقة Eoa وربما كان يقصد بها Oea أى مدينة
طرابلس . (١)

وفى عهد الامبراطور ديوقلتيانوس سنة ٢٨٤ م كانت ولاية طرابلس التى نشأت فى شرق
أفريقيا تابعة لبروقنصلية تتكون من المدن الثلاث (لبدة الكبرى ، وصبراتة ، واويا)
وكانت لبدة أكبر هذه المدن وأعظمها وهى مقر نائب القنصل (الحاكم)
(Proconsul) ، لكن بعد التدهور التدريجى الذى أصابها صارت القيادة إلى مدينة اويا
وبدأت تأخذ اسم طرابلس (Tripoli) . (٢)

أما أول اسم عربى لطرابلس فقد جاء فى خطاب كتبه عمرو بن العاص إلى الخليفة
عمر بن الخطاب بعد فتحه مدينة (شروس) عاصمة جبل نفوسة :
« إن الله فتح علينا اطرابلس وليس بينها وبين أفريقية إلا تسعة أيام ، فإن رأى أمير

(١) Antonio Merighi la Tripolitania Antica p. 22.
Tripoli-Portrait of a City by Philip Ward p. 20.

(٢) نفس المرجع السابق .

المؤمنين أن نغزوها ويفتحها الله على يديه فعل» (١) فكتاب عمرو بن العاص يثبت أن اسمها طرابلس بزيادة ألف في البداية وضم اللام .

وذكر البكري الذي عاش في القرن الخامس الهجري اسم طرابلس بزيادة الألف التي أهملت فيما بعد .

وفي العهد العثماني أُضيفت صفة « الغرب » إلى طرابلس تمييزاً لها عن طرابلس الشام إذ كان نفوذ الأتراك ممتداً إلى مسافات واسعة شملت معظم البلدان العربية ، واسم طرابلس الغرب لم يكن يعنى المدينة وحدها بل يشمل ما حولها وأحياناً كان يطلق على القسم الغربى من ليبيا .

(١) دكتور سعد زغلول (تاريخ المغرب العربى) ص ٩٤ .

دليل متحف الآثار بالسراى الحمراء بطرابلس إعداد محمود عبد العزيز النمس ومحمود الصديق أبو حامد منشورات مصلحة الآثار .

مقدمة تاريخية عن مدينة طرابلس

لقد أوضحت الاكتشافات الأثرية التي تم العثور عليها في طرابلس بأن هذه المدينة قد أسست منذ أن استقر فيها الفينيقيون حوالي القرن السادس ق م ، ويروى أن هؤلاء الفنيقيين كانوا يمرون على شواطئ طرابلس بمراكبهم التجارية منذ الألف الأول ق م قاصدين إسبانيا من موانئهم في صور وصيدا بلبنان وذلك لجلب معدن الفضة والقصدير ، واستطاع الفنيقيون أثناء القيام برحلاتهم المنتظمة إلى إسبانيا أن يؤسسوا بعض المراكز المهمة في سواحل أفريقيا الشمالية ، وتشير بعض المصادر التاريخية بأنهم أسسوا هذه المراكز في كل من المغرب والجزائر وتونس وطرابلس ، وأصبحت هذه المراكز فيما بعد مدنا ساحلية لعبت دورا مهما أيام العهد القرطاجي كصبراتة ولبدة وأويا وسوسة وبنزرت بتونس وفي الجزائر بجاية واقسيوم وشرشار ووهران أما في المغرب طنجة والبيضاء وغيرها من المراكز الأخرى التي أسست على الساحل الشمالى لأفريقيا ، فقد كان الملاحون القدامى يرغبون أن لا يتعدوا كثيرا عن الشواطئ حتى يستطيعوا أن يهتدوا في سيرهم بمعالم الطبيعة القريبة من الشواطئ ، وقد تمكنوا أثناء رحلاتهم التجارية من اختيار بعض الأماكن المهمة التي يستطيعون اللجوء إليها بأمان أثناء هبوب العواصف أو في الأمسيات الحالكة الظلام حيث يجدون فيها حاجياتهم الضرورية اللازمة لمواصلة السفر وعند مرورهم بسواحل طرابلس قاموا ببناء مراكز ومحطات لرسو سفنهم على مسافات متفاوتة ، ويعتقد أن التجارة لم تكن الدافع الأساسى لنزول الفنيقيين إلى طرابلس إلا أنها نتيجة كثرة سفرهم إلى إسبانيا غير أن شواطئ طرابلس أغرتهم للتجارة مع أواسط أفريقيا التي كانت تزخر بسلع رائجة في العالم القديم مثل الذهب والأحجار الكريمة والعاج وخشب الأبنوس ، ويبدو أن قبائل الجرامنت الليبية التي كانت تسكن في فزان قامت بمهمة نقل هذه الأنواع من البضائع وبيعها للتجار الفنيقيين عن طريق القوافل التجارية الآتية إلى طرابلس ، وقد تمكن الفنيقيون من استغلال تلك الموارد التجارية المربحة . وقد دلت الحفريات الحديثة في صبراتة أن الفنيقيين أقاموا فيها مراكز تجارية منذ القرن السادس ~~القبل~~ كانت تستعمل لغرض التجارة بين فترة وأخرى ويحتمل

أنه أقيمت مراكز تجارية شبيهة بالمراكز التجارية التي أنشأها الفينيقيون في صبراتة في كل من
لبدة ومدينة اويات طرابلس (١)

وقد تحولت تلك المراكز إلى مدن مهمة كمدينة (اويا) طرابلس في تاريخ لاحق وربما
كان ذلك تحت حماية قرطاجة التي امتد نفوذها حتى حدود برقة التي أسس فيها بعض من
المهاجرين الإغريق على سواحلها بعض المدن منذ القرن السادس ق م في مناطق خصبة
اختاروها لتكون مدنها ، وظل الإغريق يجاورون الفنيقيين في برقة واستطاع كل منهما
الحفاظ على حدود ممتلكاته دون أن يستطيع الاعتداء على الآخر رغم بعض المحاولات
لغرض التوسع إلا أن الطرفين المتخاصمين اتفقا أخيرا على إقامة حد فاصل لحدود أراضي
كل منهما .

هذا وقد اكتشف في مدينة لبدة الكبرى تحت المسرح الروماني عدد من المقابر تحتوي
على بعض الأواني الفخارية من النوع الكورينثي يرجع تاريخه إلى حوالي القرن الخامس
ق م ، كما عثر في منطقة إبي ستة قرب مدينة طرابلس في أوائل شهر ديسمبر ١٩٦٨ م على
مجموعة من المسكوكات الفينيقية مع قطع من الفخار الكمباني الأسود وقطعة من الفخار
اليوناني ، كما عثر على جرار فخارية في منطقة أبي ستة تعود إلى هذه الفترة (٢) وعثر على
مقابر أخرى في أماكن متفرقة من ضواحي مدينة طرابلس مثل منطقة بن غشير في الأعوام
٩٥٧ — ١٩٥٨ م .

وهذه الاكتشافات تدل على أن الفنيقيين قد استقروا في مدن طرابلس منذ ذلك
التاريخ ، ولم يتمكن الباحثون حتى الآن من تحديد تخطيط مدينة طرابلس في العهد الفينيقي
إلا أنهم كانوا يعتقدون بأنها كانت في الجزء الشمالي الشرقي من المساحة التي تقوم عليها المدينة
القديمة حاليا وقد اكتشفت مقبرة فينيقية رومانية بالقرب من سيدى الهدار اكتشفت بها
بعض الأواني الفخارية والزجاجية قام بدراستها الأستاذ سلفاتوري اوريجميا في كتابه المقابر
البونيقية الرومانية ببرج الدالية ، كما ظهرت آثار لبعض مباني المدينة في العهد الروماني الذي
بدأ بانتصار قيصر على خصمه بومبي سنة ٤٦ ق م ، من أهم هذه المعالم قوس الإمبراطور
مركوس اوريليوس الذي يرجع إنشاؤه إلى سنة ١٦٢ م والذي أقيم عند تقاطع الطريقين

(١) لبدة الكبرى ص ١٥ منشورات مصلحة الآثار .

(٢) ليبيا القديمة المجلد الخامس ١٩٦٨ م ص ٥٨ منشورات مصلحة الآثار .

الرأسيين بالمدينة وهما طريق الكاردو Cardo وهو طريق المدينة المحورى الرئيسى الممتد من الشمال إلى الجنوب وطريق الديكومانوس Decumanus وهو طريق المدينة المحورى الرئيسى الممتد من الشرق إلى الغرب ، هذا وأشار الأستاذ هايتز فى كتابه آثار طرابلس الغرب بأنه اكتشفت أرضيات لبعض المنازل القديمة مغطاة بقطع من الفسيفساء لوحظ أن جدرانها كانت مزدانة برسوم جدارية ملونة ومن أهم هذه المنازل فيلا اكتشفت بمنطقة باب البحر واكتشف كذلك فرن لصناعة الفخار تحت محطة الكهرباء ، كما عثر على بعض الأعمدة الكورنثية الضخمة عند شق الطريق التى تمر بوسط السراى الحمراء وعلى بعض الأرضيات والجدران خاصة ببعض المباني الرومانية العامة ربما كانت حماما أو معبدا (١)

هذه الاكتشافات التى أشرت إليها من قبل والتى تم العثور عليها بطرابلس تؤكد لنا قدم تأسيس مدينة طرابلس غير أن العلماء لم يتمكنوا من تحديد حدودها الأصلية سواء فى العهد الفينيقى أو الرومانى أو عند دخول البيزنطيين إليها فى أواخر القرن السادس الميلادى وذلك لقلة ما اكتشف من آثار قديمة تعود إلى تلك الفترة كما أن المباني التى بنيت فى العصور اللاحقة أزالَت معظم معالمها منذ عهدها الأولى ويقال إن السور القديم للمدينة كان يمتد على نفس الخط الذى قام عليه فى العهود الإسلامية ، ويمكننا أن نتصور كيف كانت معالم مدينة طرابلس أيام العهد الرومانى إذا قارناها ببعض المدن الأثرية كمدينتى صبراتة ولبدة فنرى الشوارع المبلطة والحمامات المزدانة بالتماثيل الرخامية وهى مطلة على شاطئ البحر مغطاة بفسيفساء ملونة جميلة الشكل بها أنواع من الحمامات الباردة والدافئة ، والحمامات البخارية كما نرى مصاريف مياه المجارى القديمة التى تجمع فى البحر ، وإن المدينة الرومانية كما هو واضح من بقايا مدينتى صبراتة ولبدة لا تختلف كثيرا فى تصميمها عن مثيلاتها من المدن الرومانية الأخرى التى قام الرومان بتأسيسها فى العالم الرومانى ، وقد بلغت مدن طرابلس القديمة أوج عظمتها فى القرن الثانى الميلادى حيث تأثرت هدم المدن بمظاهر الحضارة الرومانية التى تبرز فى ضخامة بناء المنشآت المعمارية كما تظهر أنواع الأعمدة الرخامية داخل المعابد والميادين الرئيسية ، وكانت الميادين تزدان بتماثيل رخامية تمثل المؤهلات الرومانية وبعض الأباطرة الرومانيين .

(١) Haynes, Antiquities of Tripolitania pp. 101-104.
Published by the Antiquities Department of Tripoli, Libya.

الحياة العامة بمدينة طرابلس فى العهد الفنيقى والرومانى

الواقع أن معلوماتنا عن الحياة العامة عن المستوطنات الفنيقية فى طرابلس فى بداية العصر القرطاجى قليلة حيث لم تذكر هذه المستوطنات فى الكتابات القديمة إلا فى بعض المقالات الجغرافية ، على أن التوسع فى المدن الثلاث أويا وصبراتة ولبة لم يحدث قبل القرن الثالث ق م ومن أهم أسباب هذا الركود هو الحظر الذى فرضته قرطاجة على التجارة البحرية مع موانئ شمال أفريقيا وقصر التجارة فى ميناء قرطاجة فقط ، هذا الوضع أدى إلى ازدهار مدينة قرطاجة ازدهارا عظيما ، وفى نفس الوقت أدى إلى تدهور مدن طرابلس ، أضف إلى ذلك أن قرطاجة فرضت ضرائب باهظة على الامبوريا Emporia وهو الاسم الذى أطلقه اليونان على مدن طرابلس الثلاث أويا ولبة وصبراتة وتعنى المراكز التجارية .

ويذكر ليني (١) Livy أن الضريبة اليومية المفروضة على لبة كانت تساوى تالنت Talent أى ما يقارب الأجر اليومى لألف وخمسمائة عامل ، وهذا بالطبع عبء كبير على كاهل المدينة ، وكانت توجد ضرائب أخرى على الواردات ، وفى أثناء الحرب كان على الامبوريا أن تزود قرطاجة بالرجال والمؤن وكان محظورا على مدن طرابلس أن تحتفظ بقوات بحرية أو برية .

وبالنسبة للشئون الداخلية كان سكان الامبوريا يتمتعون ببعض الحرية يقول سالوست إن الفنيقيين فى لبة وربما فى أويا وصبراتة كانت لهم قوانينهم الخاصة ، وكان رئيس القضاة يعرف باسم سوفيت (Suffete) وتشير الكتابة التى عثر عليها فى لبة إلى نوع آخر من الموظفين يسمى موهازيم (Muhazim) أى الجاني ومن اختصاصه جمع الضرائب والغرامات وتزويد الأسواق بالمعدات والآلات (٢) .

(١) ليني .

تؤرخ رومانى (٥٩ ق م الى ١٧ م) قصى أربعين عاما يكتب تاريخ روما منذ إنشائها حتى وفاة (دروسس) سنة ٩ ق م فى كتاب من ١٤٢ جزءا (Ab urbe condeta) بقى منه ٣٥ جزءا .

(٢) Antiquities of Tripolitania by Haynes.
Published by the Antiquities of Tripolitania Libia, p. 92.

وكانت الامبوريا تعتمد على تجارة القوافل عبر الصحراء ثم الزراعة ، وكان الفنيقيون من أمهر زُرَّاع الزيتون والقمح والشعير والفاكهة وربما أقاموا بعض نظم الري مثل السدود ، فقد أشار استرابو إلى وجود سد فنيقي عند مصب وادي كعام .

أما الصناعات الفينيقية فكانت بسيطة لا تعدو الأواني الفخارية والقدر والجرار الفخارية (الامفورات) وبعض الصناعات البرونزية الصغيرة مثل الأجراس .

فقد عثر في طرابلس ولبدة وصبراتة ودواخل البلاد على مقابر بونيقية بها الكثير من الصناعات الفخارية ، بعضها مستورد من اليونان وجنوب إيطاليا والبعض الآخر من الفخار المحلي^(١) .

ويبدو أن طابع البلاد البونيقى ظل لفترة طويلة حتى بعد دخول الرومان واستمر حتى القرن الأول الميلادى ، فقد وجدت كتابات بونيقية نقشت في العهد الرومانى ، مثل لوحة تدشين مسرح لبدة ، وحتى عندما طغى الطابع الرومانى ظل الأهالى يكتبون البونيقية ولو بالأحرف اللاتينية ، وقد وجدت بهذا الشكل شواهد قبور في القرى الغربية .

أما من الناحية الدينية فيعتقد أن العبادة في مدن طرابلس كانت للآلهة الفينيقية الرئيسية مثل (ملكارت) و (اشمون) و (عشتار) والآلهة القرطاجية مثل (بعل حامون) و (تانيت) التى عثر على رمزها بكثرة في مدينتى صبراتة ولبدة . كما عبدوا أيضا (آمون الليبي) ، وبعض الآلهة المصرية السكندرية مثل (سيرابيس) و (هاربوكراتيس) و (ايزيس) ، وانتشرت فيما بعد المؤهلات الرومانية التى اندمجت في المؤهلات الفينيقية مثل (زيوس) و (ابولو) وغيرهما من الآلهة .

أما في العهد الرومانى فإن مدن طرابلس كانت مثل باقى مدن ولايات الامبراطورية الرومانية تضع دستورها على نمط الدستور الرومانى وتتبع التقاليد الرومانية إلى حد بعيد مع الاحتفاظ بالعادات والتقاليد المحلية بدرجات متفاوتة ومتباينة من عصر لآخر .

وكان ميدان السوق أو الفوروم (Forum) مركز المدينة ومحور الحياة بها وهو عبارة عن ساحة كبيرة مكشوفة يحيط بها في أكثر جوانبها رواق معطى يستند على أعمدة رخامية ، وبالميدان توجد أهم الدوائر الحكومية والمعابد والخوانيت ، وكان ملتقى الاجتماعات العامة

(١) هذه المواد المحددة لا تعطى في الواقع صورة واضحة عن كل الصناعات الفينيقية لأن الفنيقيين كانوا لا يضعون أشياء ثمينة في مقابرهم .

والخاصة والمناقشات المختلفة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وكان الميدان تغطي أرضيته في بعض الأحيان بالرخام ويزين بتمائيل الأباطرة والشخصيات البارزة النبيلة بالمدينة . وقد عثر ببلدة على ميدانين الأول يعود إلى عصر الامبراطور أغسطس والثاني يعود إلى عصر الامبراطور سبتيميوس سوروس بهما العديد من التماثيل الرخامية الضخمة لأباطرة من أسرة الامبراطور أغسطس . كما عثر في مدينة صبراتة على ميدان متسع يحيط به رواق معمد بأعمدة من الجرانيت والرخام ويوجد به معبد (الكابيتول) وبعض المعابد الأخرى .

وكانت الحمامات من أحب الأماكن لدى مواطني مدن طرابلس في تلك الفترة يؤمها الناس بعد الظهر ليقضوا بها الساعات الطوال حتى الليل تقريبا . وكان الحمام الروماني العام يشبه إلى حد كبير النوادي الرياضية الكبرى في العصر الحديث ، مقسما إلى العديد من الحجرات والقاعات الكبيرة التي كانت تزخرف وتزين بأجمل التماثيل الرخامية وأرضيات الفسيفساء والرخام . وكانت الدولة تقوم بالإنفاق على هذه الحمامات من حسابها الخاص وتوفر بها المواد والأدوات اللازمة مثل الزيت والوقود والماء والعمال الذين يسيرون العمل فيها .

وفي نظير ذلك كان المستحم يدفع رسما رمزيا بسيطا ، والواقع أن نظرة فاحصة إلى حمامات (هادريان) (Hadrian) ببلدة ١١٧ — ١٣٨ م تدل دلالة واضحة على المصاريف الباهظة التي كانت تتكبدها الدولة في سبيل إسعاد وصحة أبنائها أضف إلى ذلك العدد الكبير من الحمامات العامة في المدن الكبرى مثل صبراتة وبلدة حيث عثر في بلدة على ثلاثة حمامات أخرى ، وفي صبراتة عثر على ثلاثة حمامات أيضا ، بالرغم من أن الحفائر في المدينتين غير كاملة ، أضف إلى ذلك العدد الكبير من الحمامات المنتشرة على شواطئ طرابلس ، وكانت هذه الحمامات تشمل عدة أقسام منها ما كان يخصص للألعاب الرياضية في الهواء الطلق ، وكان بعضها به حوض للسباحة وبعض الحجرات للألعاب الداخلية مثل المصارعة ، وأهم جزء في الحمام هي حجرات الاستحمام التي كانت مقسمة إلى عدة حجرات تتفاوت درجة حرارتها ، منها حجرة الماء البارد وحجرة الماء الفاتر وحجرة الماء الساخن وحجرة التعريق وتوجد بعض حجرات أخرى مكحلة لحجرات الاستحمام الرئيسية مثل حجرات نخل الملابس وحجرات للتدليك وحجرات للمطالعة ، وحجرات الاستماع للموسيقى ، كما توجد خزانات المياه وأفران التسخين وسرايب خاصة بالعمال الذين يشعلون النار ، ومخازن لحفظ المواد اللازمة للحمام ، وكانت بعض الحمامات بها أقسام خاصة للإقامة لعدة أيام مثل حمام تاجوراء ، المزود بحجرات النوم والأكل ومكان الطبخ .

ويعتبر المسرح كذلك من أهم سبل الترفيه في العالم القديم ، وهو عبارة عن بناء ضخيم جميل يقع داخل المدينة ويتكون من ثلاثة أجزاء .

١ — منصة التمثيل وهي عبارة عن قاعدة مستطيلة الشكل يصل ارتفاعها حوالى متر ونصف كانت تغطى بالواح من الخشب وأرضيتها كانت تغطى بالرخام وخلفها توجد بعض الشرفات والأروقة ، وعلى جانبيها توجد بعض حجرات تغيير الملابس .

٢ — (الأوركسترا) وهي على شكل نصف دائري أمام منصة التمثيل توضع بها بعض مقاعد الجلوس خاصة بعلية القوم .

٣ — مدرجات الجلوس وكانت نصف دائرية تلتف حول (الأوركسترا) وهي عبارة عن مدرجات تتخللها بعض السلالم الصغيرة تؤدي إلى مداخل توصل إلى أروقة تمر أسفل المدرجات حيث توجد أبواب الدخول والخروج التي توصل إلى خارج وداخل المسرح ، وكانت تقدم بالمسرح تمثيلات مأخوذة من واقع الحياة أو مقتبسة من بعض المعتقدات والأساطير القديمة .

وتعتبر حلبة المصارعة (الامفيتياتر) (Amphitheatre) من مظاهر الحضارة الرومانية التي لم تكن معروفة عند اليونان وهي بناء ضخم مستدير أو بيضوي الشكل كانت تبنى في الغالب خارج أسوار المدينة .

وتتكون حلبة المصارعين من جزئين رئيسيين أحدهما عبارة عن ساحة للألعاب دائرية أو بيضوية الشكل يحيط بها سور يصل ارتفاعه ثلاثة أمتار تقريبا وبعده مباشرة يوجد الجزء الآخر وهو مقاعد الجلوس (Cavea) وهي دائرية الشكل ، وكانت هذه المقاعد تصنع من الأحجار وتتخللها بعض السلالم للدخول المتفرجين والتي توصل بدورها إلى أبواب تؤدي إلى السرايب السفلية للساحة . ويوجد في الساحة مدخلان كبيران يوصلان إلى الخارج ، وهما مخصصان لدخول المواكب المختلفة للمصارعين والحيوانات ، وعلى جانبي المداخل توجد بعض الحجرات خاصة بحجز الحيوانات وحفظ أدوات المصارعين ، وكانت توجد حول وسط الساحة حجرات صغيرة تحفظ بها حيوانات المصارعة قبل بدء الحفلات ، وكانت تقدم حفلات متنوعة خاصة بالألعاب المصارعة قد تستمر عدة أيام بين المصارعين الحاملين لأسلحة متنوعة ، وفي كثير من الأحيان بين المصارعين والحيوانات المختلفة ، وكانت العادة أن يكون المصارعون من الأسرى والعبيد والمحكوم عليهم بالإعدام والمجرمين ، وكانت هذه الحفلات تنال استحسان وإعجاب المشاهدين الرومان .

ويعرض في متحف السراى الحمراء قطعة من الفسيفساء تحمل رقم ٤٤٠ بالقاعة ٤ أ
عثر عليها في داربوك عميره بزيلطن تصور لنا بعض الناظر المختلفة للألعاب التى كانت تقام فى
حلبة المصارعة ، وقد عثر على ملعب للمصارعة فى مدينة لبدة الكبرى فى سنة
١٩٦٠ — ١٩٦١ م يعود إلى سنة ٥٦ م^(١) وما زال العمل جاريا فى ترميم معالم الملعب
المدرج بلبدة .

وعثر فى صبراتة على حلبة مصارعة أخرى فى حالة جيدة تقع غربى المدينة على بعد
حوالى كيلومتر ونصف ، وهى عبارة عن ساحة شكلها بيضوى تحيط بها مدرجات
الجلوس ، وتوجد فى أرضية الساحة حفرة كبيرة على شكل صليب يقسمها إلى أربعة
أجزاء ، وكانت هذه الحفرة مغطاة بألواح من الخشب وللحلبة مدخلان كبيران أحدهما فى
اتجاه الشرق والآخر فى اتجاه الغرب وتوجد على جانبيها حجرتان خاصتان بالحيوانات
وأدوات الحلبة .

ويعتبر ميدان سباق الخيل (Circus) من الأماكن المألوفة لدى الرومان وهو عبارة
عن مكان مكشوف مستطيل توجد حوله مقاعد المشاهدين وفى أحد طرفيه توجد محلات
لإطلاق عربات السباق تسمى (Carceres) وكانت عربات السباق يختلف عددها
حسب المناسبات قد يصل أحيانا إلى اثنتى عشرة عربة والمألوف أن السباق كان يتكون من
سبع لفات تدور بعكس اتجاه عقارب الساعة ويضبط عدد الأشواط بأن يوضع فى مركز
الحلبة صف من سبع بيضات من الخشب أو سبعة صنابير مياه أو فسقيات بشكل
الدولفين ، وعندما ينهى الشوط ترفع إحدى البيضات أو تفتح إحدى فسقيات المياه أو
الصنابير .

وكثيرا ما كانت تحدث حوادث دموية أثناء السباق كما نلاحظ ذلك فى الرسوم الجدارية
بمقبرة مثرا فى قرقارش . وكانت العربات تمتاز بألوان مميزة خاصة اللون الأخضر والأزرق
والأحمر والأبيض ، وكانت تجرى عليها المراهنات التى تثير الحماس والتشجيع وكان لكل
فريق من المتسابقين أنصار وأعوان . ومن أهم هذه الفرق فريق الزرق وفريق الحضر اللذان
لعبا دورا سياسيا هاما فى تاريخ الامبراطورية البيزنطية فى عصر الامبراطور جوستنيان
(Justinian) ٥٢٧ — ٥٦٥ م . وهو ما يعرف بثورة النصر .

(١) عثر فى حلبة المصارعين بلبدة على لوحة رخامية تذكر تكريس المسرح المدرج تحت رعاية بروقنصلية بومبيوس
سلفيانوس ستابريوس فلافينوس فى حكم الامبراطور نيرون ٥٦ م ، واللوحة معروضة الآن بمتحف لبدة .

والجدير بالذكر أن الخيول الليبية كانت لها شهرة كبيرة في ميدان السباق بداخل البلاد وخارجها . هذا وقد عثر في بلدة على حلبة سباق تقع شرق ميناء المدينة بنحو ٨٠٠ متر ملاصقة للجانب الشمالى من الملعب المدرج ويحدها شمالا شاطئ البحر ويعتقد أن حلبة السباق ببلدة أنشئت في عام ١٦٢ م في عهد الامبراطور مركوس أوريليوس (Marcus Aurelius) ١٦١ — ١٨٠ م ويعد هذا الملعب الوحيد الذى عثر عليه في ليبيا وما زالت معالمه باقية حتى يومنا هذا وربما كانت المدن الأخرى لها ميادين مماثلة كما كانت المعابد من أهم الأماكن التى يؤمها الناس للقيام بطقوسهم الدينية وتقديم القرابين ، وكان يوجد العديد من المعابد في المدن الرومانية مزينة بالأعمدة الرخامية الجميلة وتماثيل المؤلّات والباطرة ، ومن أهم هذه المعابد معبد (الكابيتول) ومعبد (ليبراتور) ومعبد (سيراييس) ، (زيوس) و (هيرقل) (ايزيس) وغيرها من المعابد الخاصة بالآلهة (١) والعجيب حقا أن هذه المؤلّات المتناقضة في طبيعتها نجد أن أنصارها كانوا يعيشون دائما في وئام وسلام بالرغم من اختلاف معبوداتهم وقد عثر في مدينتى بلدة وصبراتة على العديد من هذه المعابد التى لا تزال بقاياها الأثرية تدل على مدى اهتمام الناس بها في تلك الفترة وتعلقهم بآلهتهم .

كما أن الآلهة كانت تقام لها بعض الطقوس والاحتفالات والأعياد الدينية ومن أشهر هذه الأعياد احتفالات (ديونيسوس) (Dionysus) ، (ابوللو) و (ايزيس) التى كانت تقام فيها بعض الرقصات والترانيم والأغاني الدينية الجماعية ، وكانت هذه الاحتفالات تعم المدينة ويحضرها جميع المواطنين ، أضف إلى ذلك الاحتفالات القومية مثل احتفالات النصر وتنصيب الأباطرة والقناصل واحتفالات الزواج ومنح الألقاب وغيرها من المناسبات السعيدة .

هذا ويبدو أن سكان مدن طرابلس كانوا متعددى الأجناس أكثرهم من الفنيقيين والنوميديين وبعضهم من أصل يونانى ورومانى ، ويبدو كذلك أن اللغة البونيقية واللاتينية

(١) لقد كثرت المعابد وتماثيل الآلهة في العصور القديمة ، فقد كان الإغريق ثم من بعدهم الرومان وغيرهم من الشعوب الأخرى يعتقدون بوجود كثرة من الآلهة لكل منها اهتمامه الخاص ، فكان هناك آلهة الغابات والصيد ، وآلهة المعرفة والبحر والخمر وكان لكل أسرة إلهها الخاص ، كما كان لكل إقليم من بلاد الإغريق إله الذى يحميه ونحن الآن نطلق على الذين يعبدون آلهة متعددة لسم المشركين أو المؤمنين بتعدد الآلهة (Pios Theos) مشيق من كلمتين اغريقيتين (Poly Theists) .

كانتا اللغتين الرسميتين في البلاد ، والدليل على ذلك هو العثور على كثير من الكتابات البونيقية واللاتينية الموضوعة في المباني العامة .

بعد هذه اللوحة البسيطة عن الحياة العامة في مدن طرابلس في العهد الفينيقي والروماني نبدأ الآن في الحديث عن أهم المعالم الأثرية الموجودة بمدينة طرابلس ثم أهم المكتشفات الأثرية ونتطرق إلى الحديث عن المعالم الأثرية الأخرى المكتشفة خارج المدينة .

سور مدينة طرابلس

لم يبق من سور مدينة طرابلس في العهد الروماني أى أثر يذكر أما عن العهد البيزنطى فيمكن أن يرجع القسم المنخفض منه والذي يمتد حاليا فى الشمال أمام باب زناته المسمى الآن بالباب الجديد ، وهو مبنى من أحجار مستطيلة ذات ارتفاع لا يعلو أكثر من ٤٥ سنترا يقدر بحوالى قدم ونصف رومانى ، والحجارة موضوعة بطريقة غير منتظمة وبأحجام مختلفة وغير متقنة ، الشئ الذى يجعل تلك الحصون من النوع الذى تعودنا رؤيته من التحصينات البيزنطية فى المدن القديمة مثل مدينتى صبراتة ولبدة وهذه الأحجار مكونة من مواد مختلفة .

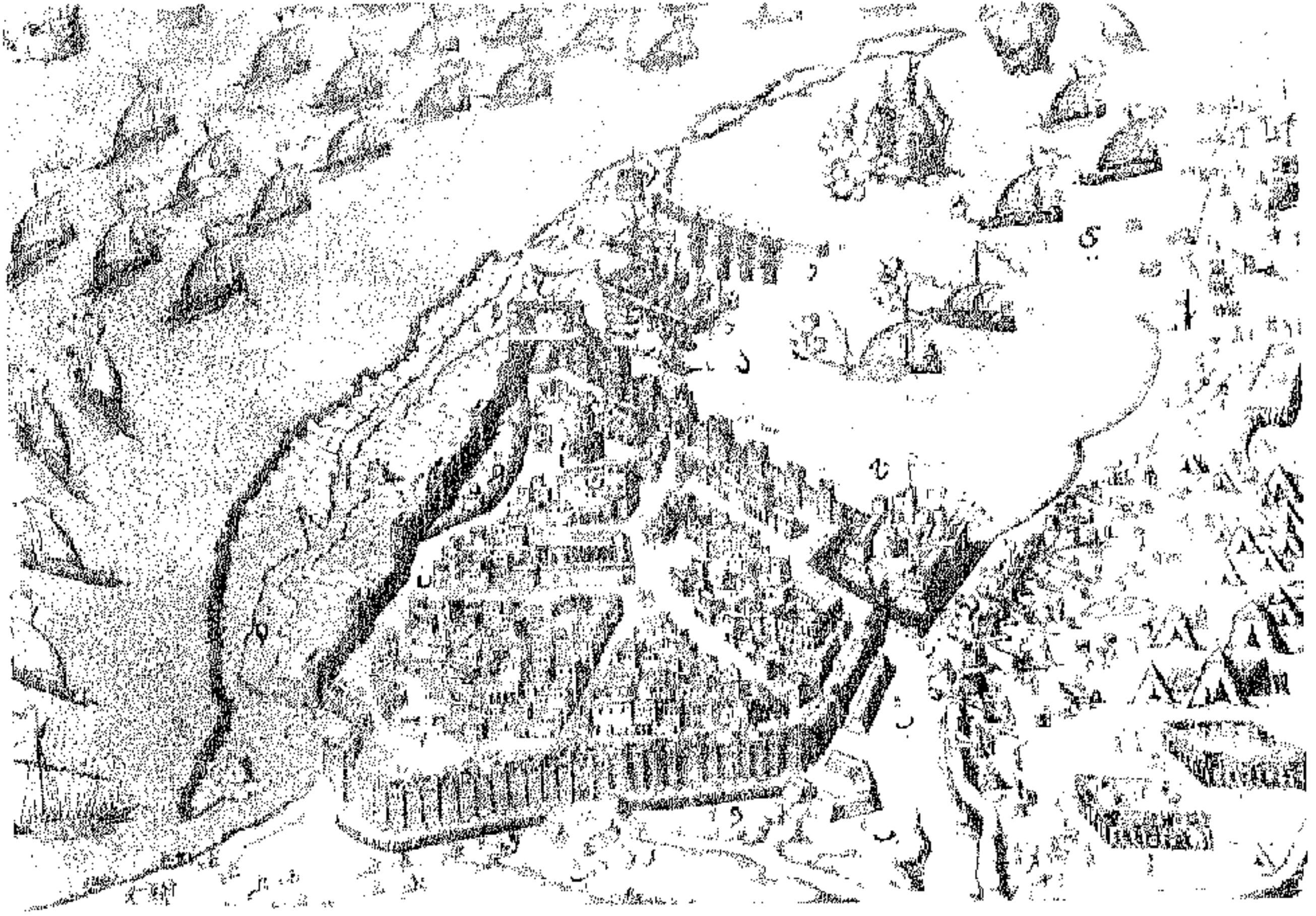
ويعتقد اوريحما أن أسوار مدينة طرابلس قد بنيت فى العهد البيزنطى وأنها تهدمت عند دخول العرب المسلمين^(١) اليها وقد استند على ما أظهرته الحفريات التى أقيمت على سور المدينة واستنادا على رواية التجانى بخصوص تهديم عمرو بن العاص لأسوار المدينة سنة ٢٣ هـ الموافق لسنة ٦٤٣ م لكى لا يحد من صعوبة فتحها مرة أخرى .

والدليل على قول اوريحما بأن أسوار مدينة طرابلس قد هدمت هو ما قام به عبد الرحمن بن حبيب المتولى على أفريقيا فى أواخر دولة بنى أمية ١٣٢ هـ بإصلاح السور من جهة البر ، وفى سنة ١٨٠ هـ قام هرثمة بن أعين المتولى على أفريقيا من قبل هارون الرشيد ببناء السور من جهة البحر ويذكر التجانى أنه قام بهذا العمل على يد زكريا بن قادم ثم زاد اتقانه ورفع بناءه من جهة البر والبحر معا أبو الفتح زيان الصقلي متولى طرابلس عام ٢٤٥ هـ .

ويقول النائب فى كتابه المنهل العذب ص ٧٥ « إن شعبان بن أبى المهاجر قد ولى طرابلس للمرة الثانية سنة ١٩٦ هـ وإن هواره ثاروا عليه فخرج الجند عليهم والتقوا فاقتلوا

(١) انظر مجلة النشرات الأثرية السنة الثانية الجزء الأول والثانى .

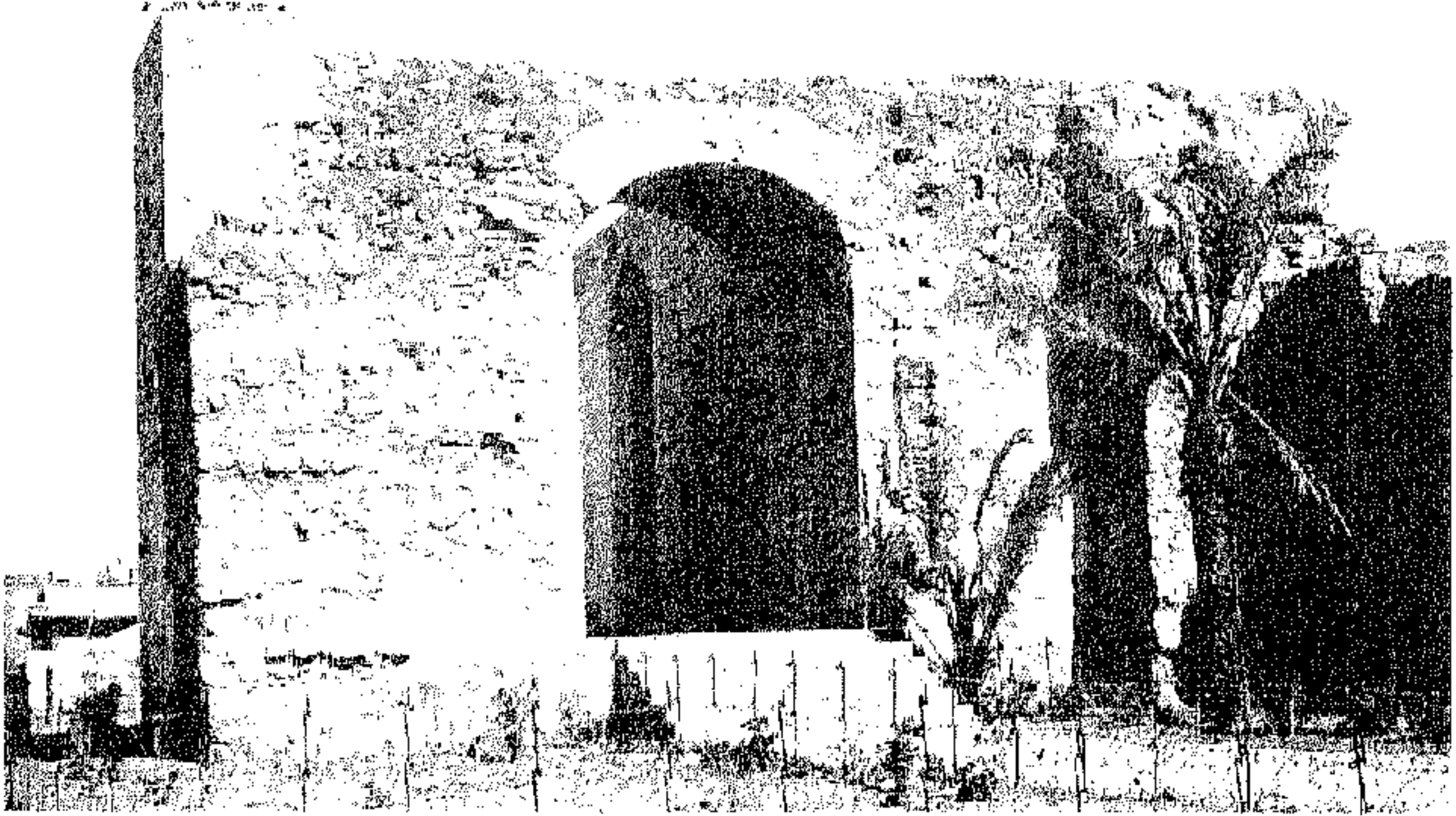
Notiziario Archeologico Anno II, Fasc I-II Roma 1926. Salvatori Aurigema
(Le Fortificazioni della Citta di Tripoli) pp. 219-296.



شكل (١)

دليل لبيان المواقع المهمة بمخطط مدينة طرابلس القديمة القرن السادس عشر الميلادي

- ا — قوس مركوس اوريليوس .
- ب — ثلاث دعائم مبنية من الطين .
- ج — القلعة . د — رصيفان شيدا من طرف العثمانيين .
- هـ — خنادق متصلة بالبحر . و — خندق متصل بالسور الجنوبي .
- ز — عين ماء أو حنفية بالزاوية الجنوبية الغربية من خندق القلعة .
- ح — تل داخل سور المدينة من الناحية الغربية . ي — الميناء والمدخل في اتجاه الشرق .
- ك — استحكام لحماية الميناء . ل — مرفأ م — مخازن استحداثها الأتراك .
- ن — المسجد الكبير جدد أخيرا . ع — استحکامات لحماية سفن المرفأ .
- ف — قصر أنشأه درغوث .



شكل (٢)

أحد مدانخل مدينة طرابلس وجزء ظاهر من السور القديم .



شكل (٣)

باب زناته مدانخل باب الجديد

فهزم الجند إلى المدينة فتبعهم هواره ودخلوا المدينة وهدموا أسوارها ولحق الجند بالأمير إبراهيم بن الأغلب فأعاد معهم ابنه عبد الله في ثلاثة عشر ألفا من العساكر فتك وأتخن فيهم وضبط البلد وجدد سورها .

ويذكر التجاني أن الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص قد أمر أيام وصوله إلى طرابلس في شهر شعبان سنة ٦١٤ هـ ببناء فصيل آخر كان يحيط بالسور وهو أقصر منه ويسمونه الستارة ، وقد رأى التجاني ذلك مكتوبا على أحد أبواب الستارة يعرف بباب عبد الله ، ولم يصلوا هذه الستارة حين بنوها بالبحر وإنما انتهوا بها إلى الباب الأخضر منه وبين البحر فسحة فآتم البناء أيام مقامنا بطرابلس .

ولم يعرف عن آثار الستارة التي ذكرها التجاني شئ قائم غير أن بلدية طرابلس في سنة ١٩٦٤ م عندما قامت بحفر المجارى في الشارع الذى يقع بين سوق النجارة ومصرف ليبيا المركزى أظهرت معالم سور يبلغ سمكه ٢٠ ، ٧ م وبموازاة هذا السور من الناحية الغربية عثر على بقايا سور آخر سمكه ستة أمتار ، كما قامت البلدية في ١٩٧١ م بميدان الشهداء وعلى محور رئيسى مع باب هواره القديم الذى يؤدى إلى سوق المشير بحفريات بينت لنا العثور على أساسات هي **بلا** شك الفصيل الذى ذكره التجاني .

ويبلغ محيط سور المدينة حسب تقرير لوفد فرسان القديس يوحنا الذى زار طرابلس قبل تسليمها من الإسبان ٣٧٢٢٨ خطوة ثلثاه يطل على البحر والثلث الآخر يشرف على البحر ، ومن أقوال أحد أفراد الحملة العسكرية الإسبانية التى استولت على مدينة طرابلس في ٢٥ يوليو سنة ١٥١٠ م وهو (باسينيودى كونيس) بأن مدينة طرابلس مربعة الشكل ويزيد محيطها على ميل واحد ولها سوران بينهما خنادق ضيقة عميقة والسور الأول قصير أما الثانى فمرتفع وسميك وعليه الأبراج العالية الحصينة ويحيط البحر بالمدينة من ثلاث جهات تقريبا ولها ميناء عظيم يسع ما لا يصل إلى أربعائة سفينة ويقال إنها يسكنها أكثر من عشرة آلاف عربى وبعض اليهود .

وكانت هناك حصون صغيرة منتشرة فى النقاط الاستراتيجية على حافة قريبة من السور على هيئة طلائع مراقبة تقوم بتغطية وعرقلة القوة المعادية بصفة مؤقتة .

وقد وردت فى الأوصاف والرسوم القديمة بما يشير إلى أثر برج قديم يسمى برج الماء (Laquat) ويقع على الشاطئ شرق طرابلس وهو موقع يمتاز بوفرة مصادر المياه حوله ، وهناك حصن منيع يقوم على الجزر الغربية لحماية دار الصناعة والميناء أشير إليه فى

رسم بندقى فى سنة ١٦٥٧ م باسم حصن القديس وعرف فيما بعد باسم الحصن الإسبانى وهناك حصن آخر أشير إليه قرب المجزرة وهو يقوم رقبيا أماميا للمدينة من الجانب الشمالى ولكنه من عصر متأخر لا يزال يشاهد حتى الآن فى الحصن المسمى (برج ابوليلى) القريب من ميناء طرابلس^(١) .

ومن أهم أبواب السور القديم المشهورة باب زناته ويعرف حاليا باسم الباب الجديد الذى يؤدى إلى الميدان الموجود به معمل التبغ الحكومى وسمى بهذا الاسم لأنه يقع على الجانب الغربى من المدينة نحو المواقع التى كانت تسكنها القبيلة المذكورة إلى الشمال الشرقى من طرابلس قرب قوس (ما ركوس او ريلوس) كان هناك باب آخر يعرف باسم (باب البحر) لأنه يؤدى إلى الميناء وهناك مدخل آخر يقع إلى جنوب شرقى طرابلس وهو مكون من بابين نتيجة وجود سورين يحميان المدينة من جهة المنشية الباب الخارجى وهو الذى يسميه الأهالى من قبل باسم (فم الباب) فى ركن قصيره سيدى حمودة ويؤدى إلى الميدان المعروف سابقا بميدان الخبز أى ميدان الشهداء حاليا ، وعلى بعد ستين مترا وفى نفس الاتجاه وفى الطريق المعروفة بسوق المشير هناك الباب البدائى القديم ويسمى باب (هواره) نظير باب زناته إذ يؤدى هذا الباب إلى ريف طرابلس والخمس حيث تسكن هذه القبيلة وسمى أيضا (بباب عبد الله) ولعل ذلك يرجع إلى المقاومة الشديدة التى أبداهـا فى هذا الموقع عبد الله مؤسس دولة الأغالبة سنة ١٨٥٠ م ضد عدوه عبد الوهاب ويدعى لدى العامة (بباب المنشية) وإذا سرنا من باب المنشية بمحاذاة السور إلى جهة الجنوب فإن هناك بابا آخر للمدينة سماه الإسبان (الباب الغربى) أو الباب العربى الذى أعيد فتحه من قبل الأتراك سنة ١٩٠٩ م وقد كان أحد المداخل التى استولى عليها الأسبان سنة ١٥١٠ م وسموه باب النصر انظر الخريطة . (٢)

ويصف التجانى بابا آخر للسور وهذا الباب الأخضر ويعتقد الأخ محمد سالم الورفلى فى بحثه عن (مدينة طرابلس الإسلامية) أن هذا الباب الذى يعنيه التجانى من المحتمل أن يكون الباب الصغير الضيق الذى بجوار السور الجنوبى الشرقى . خلف سوق الصنائع المحلية غير أن هذا الباب يقع بالتحديد فى مبنى دار البارود وهو نفس المكان الذى أشار إليه الأخ الورفلى .

(١) انظر كتاب بربيا ص ٢٤ ترجمة الأستاذ خليفة النلىسى .

(٢) انظر كتاب (بلدية طرابلس فى مائة عام) ص ٦٢ ، ٦٤ .

وعند احتلال الإسبان لمدينة طرابلس ١٥١٠ م إلى سنة ١٥٣٠ م رُممت أسوار المدينة لغرض الدفاع عنها ضد غارات البحرية العثمانية وأضاف فرسان مالطا الذين سلمهم الإسبان مدينة طرابلس من سنة ١٥٣٠ م إلى سنة ١٥٥١ م بعض الحصون ، واستطاع الأتراك العثمانيون بعد معارك بحرية طاحنة طرد الإسبان وفرسان مالطا بمساعدة أهالي البلاد واستلم الأتراك مدينة طرابلس ١٥٥١ م .

[REDACTED]

[REDACTED]

[REDACTED]

قلعة طرابلس

يمكن أن نرجح تأسيس قلعة طرابلس إلى العهد الروماني حيث إن التحصينات القديمة وسور المدينة يرجع تأسيسها إلى تلك الفترة ، هذا ومما يؤكد ذلك هو العثور على آثار قديمة منها بعض الأعمدة الرخامية الضخمة من النوع الكورنثي^(١) كما عثر على أرضيات وجدران لبعض المباني العامة والتي يعود زمنها إلى العهد الروماني ويحتمل أن مبنى القلعة قد هدم مع أسوار المدينة حينما أمر عمرو بن العاص بتهديمها سنة ٢٢ هـ وقد رمت أسوار المدينة وتحصيناتها عندما أجرى عليها عبد الرحمن بن حبيب سنة ١٣٢ هـ المتولى على أفريقيا بعض التصليحات من جهة البحر وفي سنة ٣٤٥ هـ زاد في إتقان السور ورفع بناءه أبو الفتح الصقلي من جهة البر والبحر معا .

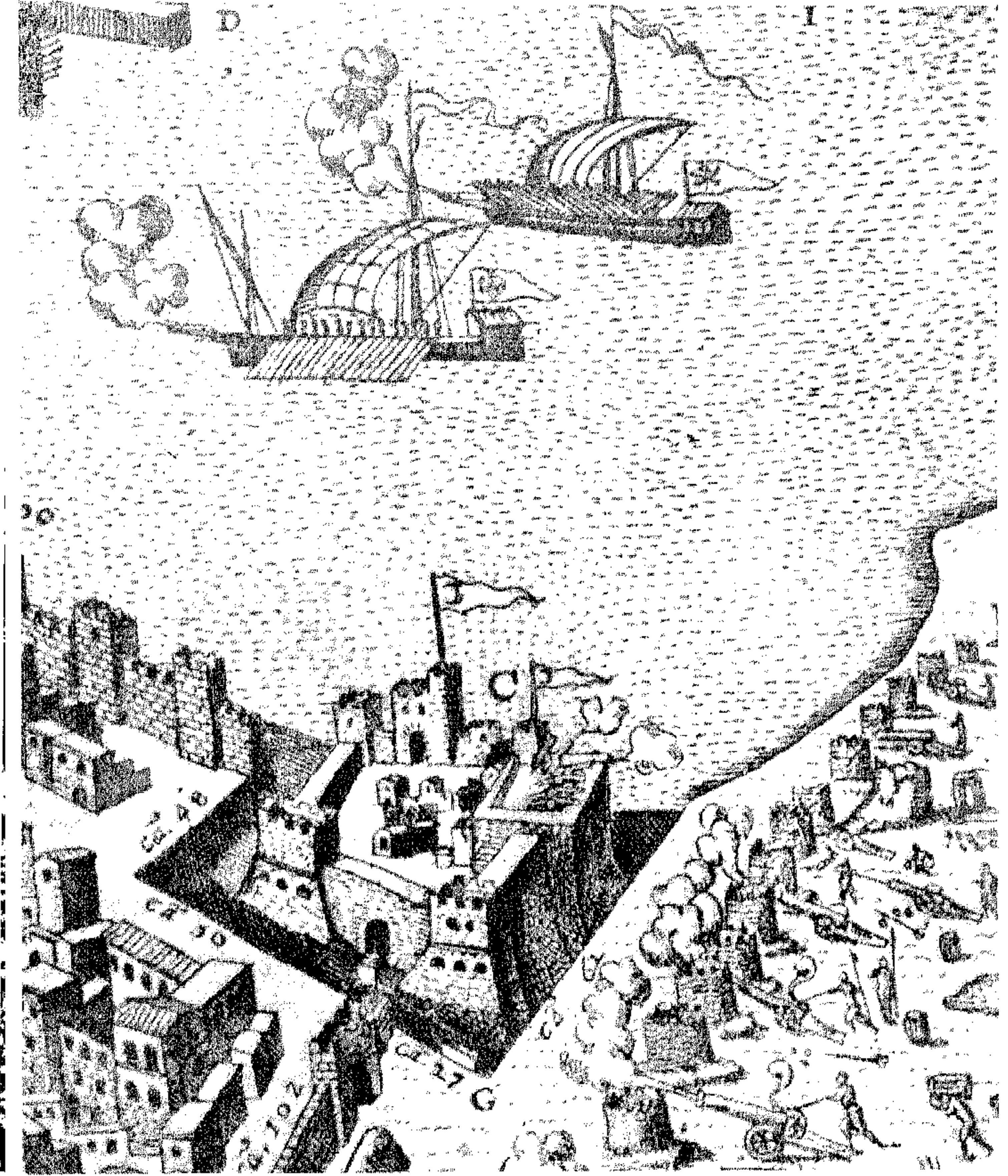
ومما يدل على أن قلعة طرابلس كانت في كامل قوتها بعد الفتح الإسلامي كما يشير الأستاذ أوريجيا هو اجتماع عبد الله إبراهيم بن الأغلب بداخلها واللجوء إليها قصد حمايته من القوة المعارضة لحكمه ، وقد بقي إبراهيم الأغلب محاصرا للقلعة حتى تم الاتفاق بينه وبين المحاصرين على أن لا يفك الحصار حتى يترك عبد الله المدينة نهائيا^(٢) .

ويذكر التجاني في رحلته إلى تونس وطرابلس في سنة ٧٠٨ هـ ١٣٠٧ م أن والي البلد إذ ذاك قد تخلّى عن موضع سكناه وهو قصبة البلد فترلنا بها . ويحدثنا التجاني عن القصبة فيقول : إن آثار الضخامة بادية على هذه القصبة غير أن الخراب قد تمكن منها ، وقد باع الولاة أكثرها فما حولها من الدور التي تكتنفها إنما استخرجت منها ، ولها رحبتان متسعتان .

هذا ونجد وصفا آخر للقلعة في كتاب عن البحرية للبحار التركي بيري والذي صدر في سنة ١٥٢٤ م ذلك قبل دخول الأتراك إليها فيقول : من الجدير بالذكر أننا لم نر في ديار المغرب قلعة أجمل من قلعة طرابلس إن كل برج فيها يرى وكأنه مصنوع من الشمع وخاصة

(١) Salvatore Aurigemma. Le fortificazioni della città di Tripoli, in notiziario Archeologico delle Colonie, II, 1916, p. 221.

(٢) نفس المرجع السابق .



شكل (٥)

رسم قديم يعود إلى سنة ١٥٥٧ م يثل قلعة طرابلس .

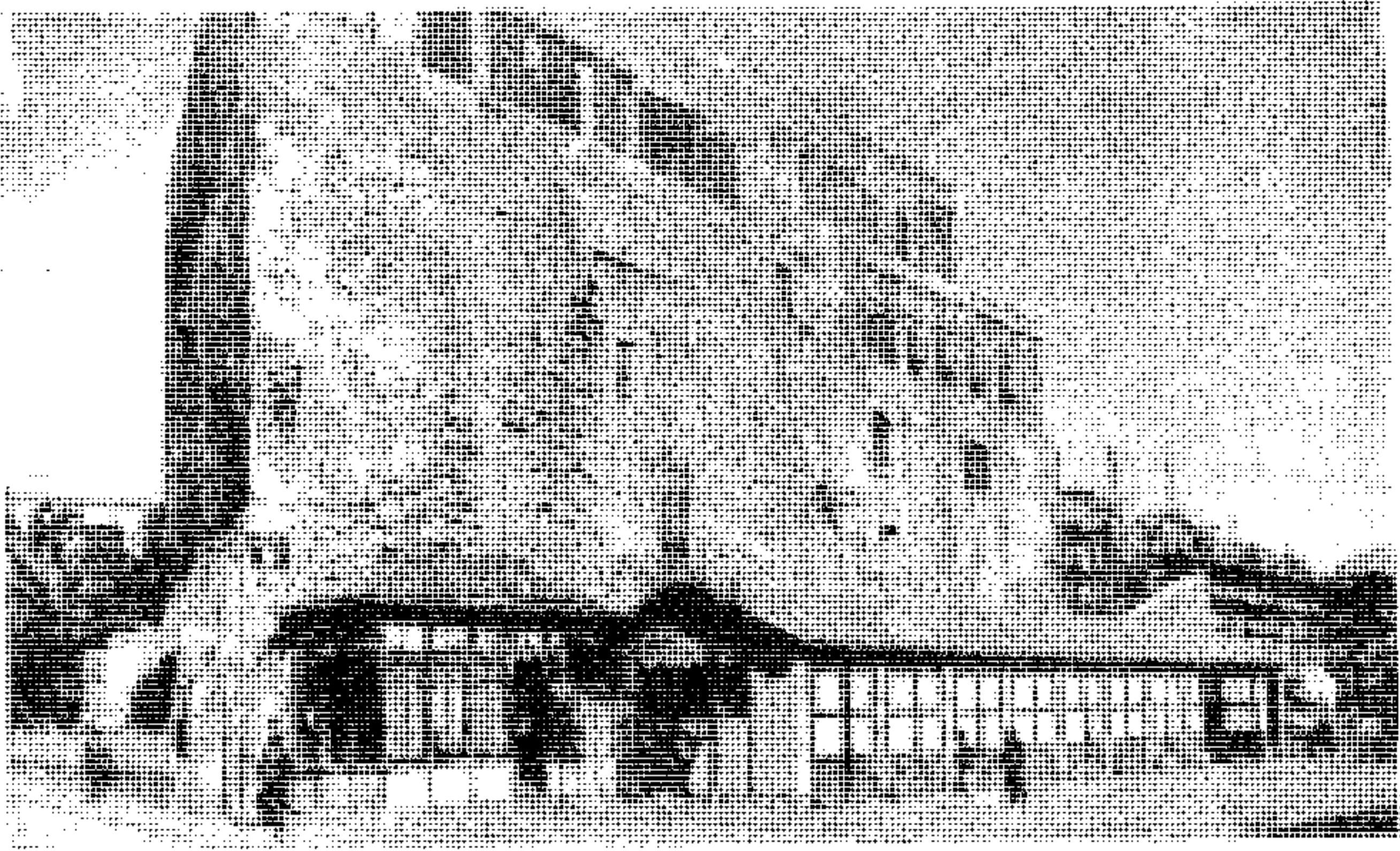
أن قلعة طرابلس هذه تبيض بالجير كل ستة أشهر فتظهر للناظر كالفضة الناصعة ، ومما يذكر عن هذه القلعة أنه كثير ما يلجأ إليها الأهالي وقت الحروب والغزوات للاحتباء بها إذا ما يبدأ الغزاة بضرب أسوار المدينة بالمدافع التي يحملونها فوق ظهور سفنهم الغازية حتى يتسارع أهالي طرابلس إلى أبواب وقلاع هذه السراى حيث يكونون فى مأمن تام بداخلها طيلة فترة الغزو ، وكانت هذه القلعة مستعدة لمثل هذه الحالات فكانت تضم كثيرا من المخازن والمخابز والطواحين والحمامات وغيرها من أسباب الراحة والمعيشة (١)

هذا وقد استطاع فرسان القديس يوحنا كتابة تقرير عن القلعة عندما أرسلوا للاستخبار والتجسس عنها فى شهر يوليو ١٥٢٤ م وذلك قبل استلام مدينة طرابلس من الإسبان وكلفوا بتقديم تقرير حول الوضع الدفاعى لهذه القلعة يبلغ طول القلعة من الجنوب إلى الشمال ١٦٠ خطوة ومن الشرق إلى الغرب ٢٠٠ خطوة ، وإن الواجهتين المقابلتين لها نفس المقاييس ولها خنادق يبلغ عرضها ٢٤ خطوة ويبلغ ارتفاع جدران القلعة خمس قصبات . فقد كانت القلعة تواجه الميناء الواسع بيناءها المربع الضخم وهى تحمى المدينة من البر والبحر ، أما الجزر التى تقع فى الغرب والتي يقوم عليها حاليا ذراع الميناء الذى يمتد على الجانب الشمالى فكانت تمنعها من الغارات البحرية المفاجئة .

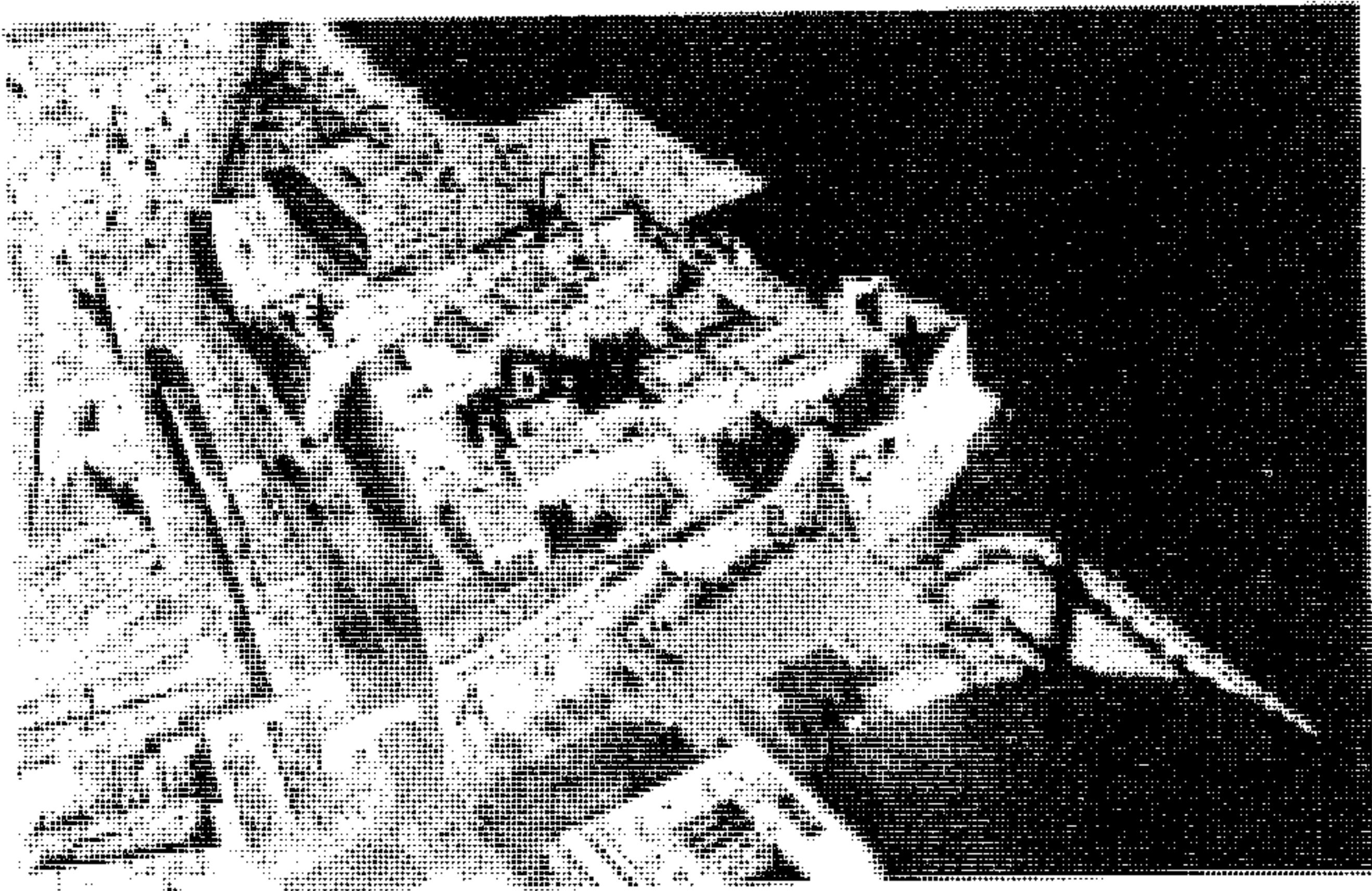
وأهم وأدق وصف لقلعة طرابلس من الداخل هو الذى كتبه الأسير الفرنسى الذى وقع فى أسر البحارة الطرابلسيين من ١٦٦٨ م إلى ١٦٧٦ م .

يقول هذا الأسير الفرنسى فى مذكراته يرجع تأسيس القلعة إلى مواطنين أفريقيين عند تأسيس مدينة طرابلس ثم رممها وكبرها الإسبان وفرسان مالطا ، وتقع القلعة فى الزاوية الشرقية للمدينة ويبلغ محيطها ٥٠٠ خطوة ، الجهة الشرقية منها تطل على البحر والجهات الباقية محاطة بخندق عريض وعميق ، مربعة الشكل تكتنفها أبراج أربعة عالية أطلق الإسبان على بعضها حصن سانتا بربارا ، حصن سان جاكو ، وحصن سان جورج المدخل خال من الخواجز والجسور ، ويقع المدخل فى الجانب قليلا وتغلق الأبواب الأربعة ليلا . توجد مبان كثيرة بداخل السراى ، وشقق الباشاوات رائعة ومساكن الضباط والعساكر

(١) مجلة الأفكار العدد ١٨ السنة الثالثة ربيع الأول ١٣٧٨ هـ أكتوبر ١٩٥٨ ص = ١٦١٥٠ ترجمة الحاج محمد الأسطى .



شكل (٦)
قلعة طرابلس سنة ١٩١١ م



شكل (٧)
قلعة طرابلس

B ساحة القديس برنار
D مسجد القلعة .
F الردهة القرمانيّة .

A برج القديس جورج
C برج القديس جاكمو
E البرج الجنوبي الغربي

مرحلة جدا ، ويظهر في الداخل نافورة يأقي مأوها من بئر ، وتبعد النافورة قليلا عن باب المنشية ، على المدخل لوحة من الرخام تحمل شعار أسبانيا وفرسان مالطا وقد حفر عليها الأتراك كتابة مكونة من سطرين .

يقابل أول ماتمر بالبواب الأول حائط مغلق عليه سيوف وبنادق كثيرة ، وعلى اليسار يمتد ممر طويل نوعا ما هناك حيث يوجد كرسي محمد وعثمان باشا ؛ هو كرسي مطعم بالذهب أشبه بعروش السلاطين ، ويستقبل الباشا في هذا المكان رسل السلاطين من اسطنبول أو أى دولة أخرى .

ويذكر هذا الأسير الفرنسي المجهول أن هذا الكرسي قد أعد في سنة ١٦٧٤ م من قبل بايلي باشا بطلب من خليل باشا وتوجد بعد الباب الرابع قاعة يطلق عليها اسم ميدان يجلس فيها الأمير (الباشا) أغلب ساعات النهار للفصل في الأمور المتنوعة على كرسي مثبت في الحائط بسيط الشكل « وهذا هو عرش طرابلس » وخلف هذه القاعة حجرة يجلس فيها الكتبة حيث يلقي الباشا أوامره من نافذة لتحريرها وتنفيذها .

ويتسع الميدان من ناحية الجهة اليسرى حيث يوجد مسجد السراى الذى كان فى السابق كنيسة فرسان مالطا وتسمى كنيسة سان ليوناردو ، أما باقى القلعة فهو مليئ بالمبانى الخاصة بالضباط والجنود ، كما توجد بها مخازن للأسلحة والذخيرة كما توجد كذلك أفران وطواحين وعلى السور المقابل للبحر يوجد المدفع الذى يسيطر على البحر ومدخل الميناء ، ولقوة الأمواج التى تنكسر على أساسات هذه الجدران وخوفا من انهيارها يوما ما فكر عثمان باشا فى تقوية هذا السور لعمل سطح على شكل رصيف ليستغل فيما بعد لحماية مدخل الميناء بوضع بعض المدافع عليه ولكن هذا المشروع لم ينفذ بعد ، كما يوجد ممر للطوارئ من ناحية البحر .

وقد كانت القلعة فى وضع يمكنها من السيطرة بكل سهولة على كل مايحيط بها حيث إن مدفعيتها تستطيع أن تضرب المدينة والميناء وعرض البحر وكل القرى المجاورة .

من هذا الوصف يمكننا أن نتصور وضعية القلعة فى ذلك العهد حيث معالمها الآن قد تغيرت أكثرها كما هدمت بعض الدواوين التى بنيت فى عهد حكم الأسرة القره مانلية سنة ١٧١١ م بسبب بناء الطريق الحديث الممتد من شارع الفتح المجاور لشاطئ البحر حتى ميناء طرابلس .

فإن أكثر من قرن كان الزائر لقصر السراى يجد دار سكة النقود ، وديوان العساكر ،

وصيدلية الحكومة ، وراثسة الخزانة ولا تزال بعض هذه المنازل التي بنيت في تلك الفترة باقية وهي تشبه المنازل الموجودة الآن بالمدينة القديمة وتمتاز بوجود فناء واسع غطيت جدرانها بالقيشاني الملون والمزخرف بأوراق نباتية وهي مكونة في الغالب من طابقين وحجرات مستطيلة ، وأخيرا عندما استولت الحكومة الإيطالية على ليبيا سنة ١٩١١ م أخذت جزءا من القلعة وأحدثت بداخلها بعض التغييرات الجديدة منها بناء النفق والطريق الحديثة وإضافة بعض الأقواس فوق حصون القلعة ، وجزء منها خصص كمقر لدوائرها الحكومية كما اتخذت بعض من مبانيها مقر الحاكم الإيطالي كما خصص جزء منها وعمل كمتحف للآثار عرضت به ماتم اكتشافه بطرابلس من لقيات أثرية ، هذا وعندما أصبحت القلعة تابعة لإدارة الآثار وضعت بداخلها بعض النافورات المرمرية ووضعت في أماكن متعددة بداخل السراي الحمراء ، وقد جلبت هذه النافورات من بعض المنازل المبنية بطرابلس في القرن السابع عشر والثامن عشر الميلادي .

المدفن البونيقي الرومانى ببرج الداليه (قرب سيدى الهدار بطرابلس)

كانت أعمال مد الخط الحديدى من ميناء طرابلس إلى محطة السكة الحديدية أدت إلى اكتشاف مجموعة من المنابر البونيقية على هيئة حجر محفورة فى الطبقة الصخرية تحت مستوى برج الداليه وهو البرج الغربى الشمالى من سور مدينة طرابلس ، وكان ذلك فى شهر مايو سنة ١٩١٢ م ، واستمر اكتشاف بقية المقابر التى بلغ عددها ٣٩ مقبرة ، وكانت مجموعة محتويات هذه المقابر كونت النواة الأولى لمتحف طرابلس فيما يتعلق بالفخار والزجاج والأواني النحاسية وذلك فى شهر ابريل ١٩١٩ م .

نوع المقبرة

كل المدافن التى عثر عليها بهذه المقبرة ظهرت تحت البرج أو الحصن الشمالى الغربى لمدينة طرابلس على الشاطئ الرملى الساحلى للمدينة ، وجدت مقبرة واحدة فوق الرمل وهى تحتوى على هيكل عظمى واحد ، ولا تحتوى على مواد أثرية ويشك فى أنها جزء من المقابر البونيقية الرومانية .

هذا ولم تكن مقابر برج الدالية من الأثر الضخم ولا تحمل زخارف فنية ولا طرز معمارية ، غير أن المقبرة تتميز فقط بكثرة المدافن المكتشفة وكثرة محتوياتها الأثرية ، وأنها مقابر عائلية لوجود أعداد كبيرة من اللقيات الجنائزية ، وأن حجرة الدفن غير مزدوجة وهى على شكل قبر واحد (Dromes) به مدخل لحجرتين وتفتح كل منها بمواجهه الثانية .

هذا وقد اكتشف بمقابر برج الدالية نوعان من المقابر .

(١) مقبرة على شكل حجرة (٢) مقبرة على شكل فرن وهما من أبسط الأنواع للدفن الجماعى وقد حفرتا على عمق قليل عن مستوى سطح الأرض .

هذا ولم يعثر بها على سلام ، وعمق أرضية ، المقبريقارب المتر أو أكثر قليلا وقد غطى المدخل بلوحة من الحجر الرملى مستطيلة غير منتظمة .

وقد وضعت اللقيات مع جثث الموتى المحروقة أو الغير محروقة كما وضعت أوانٍ مختلفة بها

بقايا عظام محروقة ، كما وضعت بعض الأدوات بجانب الميت داخل حفرة قريبة من مدخل المقبرة ، والمقابر على شكل حجرة في أكثر الأحيان مستطيلة الشكل أو بأحجام مختلفة ولكنها لا تزيد بالطول والعرض على ٣ أمتار والارتفاع لا يزيد على متر . وسقف المقابر على شكل مستقيم يميل إلى الانحناء وجدران المقبرة ذات حوائط غير مستقيمة .

ويقدر عدد المقابر التي عثر عليها على شكل فرن مابين ٣٩ مقبرة . أربعة منها ذات أحجام صغيرة . ولم يعثر بداخل النوعين من هذه المقابر على بعض اللقيات المكتوبة تؤرخ لنا على بعض من دفنوا بها .

محتويات مقبرة برج الدالية

كل اللقيات الأثرية التي ظهرت من خلال الحفريات التي أجريت ببرج الدالية يتكون أغلبها من أوان زجاجية وفخارية بعض منها من الفخار الأحمر المختوم المصقول السطح الذي اشتهرت صناعته في مدينة (ارتيسوم) بأواسط إيطاليا في بداية الامبراطورية الرومانية . وهناك بعض الصناعات المعدنية وأدوات مصنوعة من العظام ، بعض منها مصنوع من العاج والجبس .

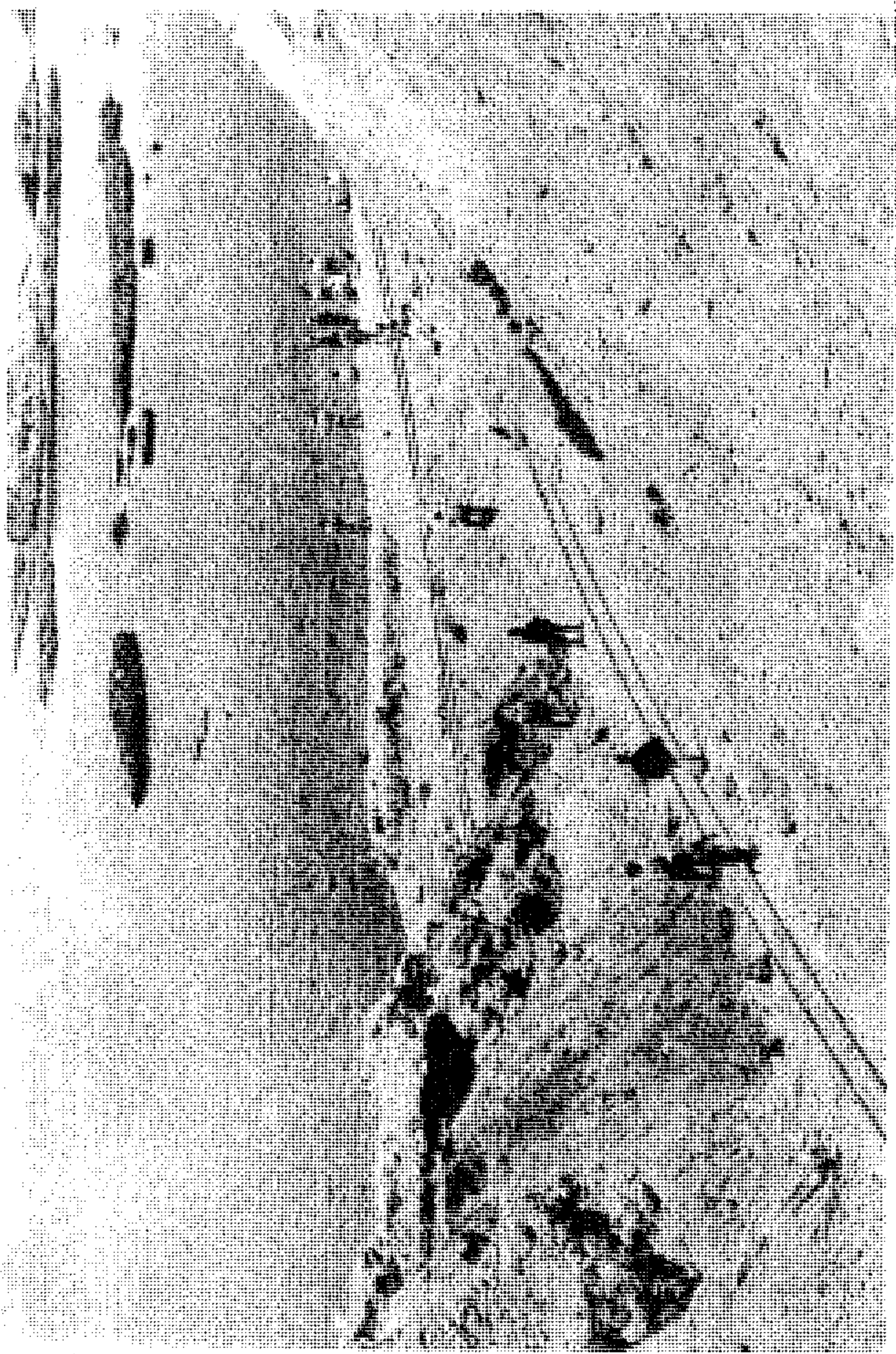
(١) اللقيات الزجاجية .

عثر في مقابر برج الدالية على أدوات زجاجية مثل الزهريات وقوارير وأباريق وكؤوس في أحجام مختلفة وفي أغلب الأحيان جميلة الصنع .

هذا ولم يتمكن البروفسور اوريچيا في بحثه عن حفريات مقابر برج الدالية من تحديد مصدر الأواني الزجاجية لمدينة أويا وذلك لأن معامل الزجاج قد أنشئت في أماكن متعددة ومن ضمنها قرطاج (١) .

وقد وجدت مجموعة الأواني الزجاجية المكتشفة ببرج الدالية أغلبها ذات لون أخضر وفي بعض الأحيان عديمة اللون ، ومن ضمنها الزهريات الخاصة بوضع العظام المحروقة وهي

(١) Salvatore Aurigemma ~ Un Sepolcreto Punico ~ Romano. (١) Sotto Il 'Forte Della Vite' O 'Forte Nord - Ovest' in Tripoli (Libia). Reports and monographs of Department of Antiquities in Tripolitania No. 4, 1958. Issued by the Department of Antiquities, Administration of Tripolitania.



شكل (٨)
منظر عام لمنطقة حقائق برج الدالية شمال غربي مدينة طرابلس القديمة .



شكل (٩)

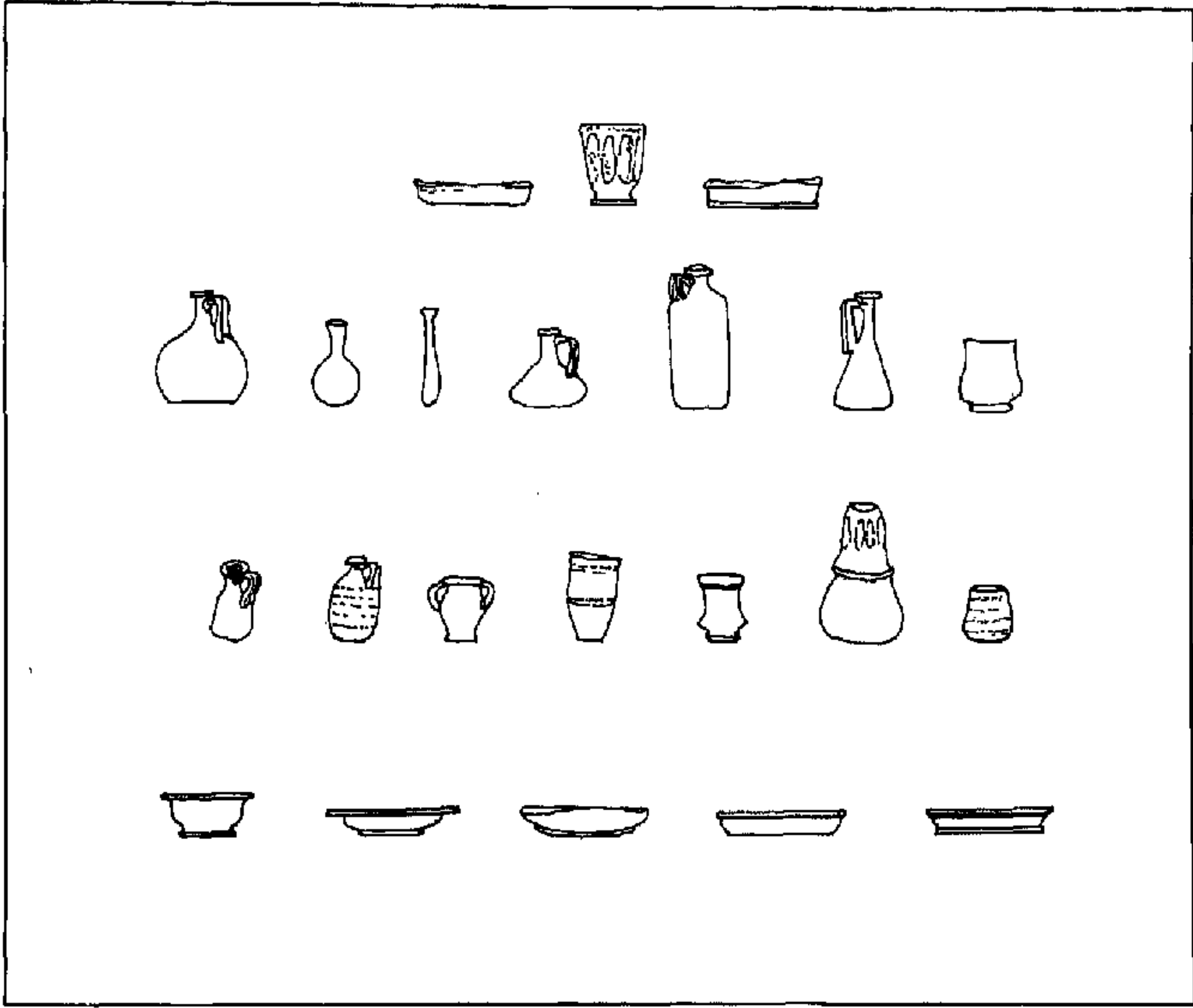
منظر عام لإحدى حجرات الدفن يا حدى مقابر برج الدالية ملوثة بالآثار الجنائزى الذى كان يستعمله الميت فى حياته اليومية .

ذات أجسام على شكل كروى بها أرجل متصلة بطريقة الصهر في بطن الزهرية ، ولها مقبض من نفس العجينة المصنوعة منها الزهرية .

(٢) القينات .

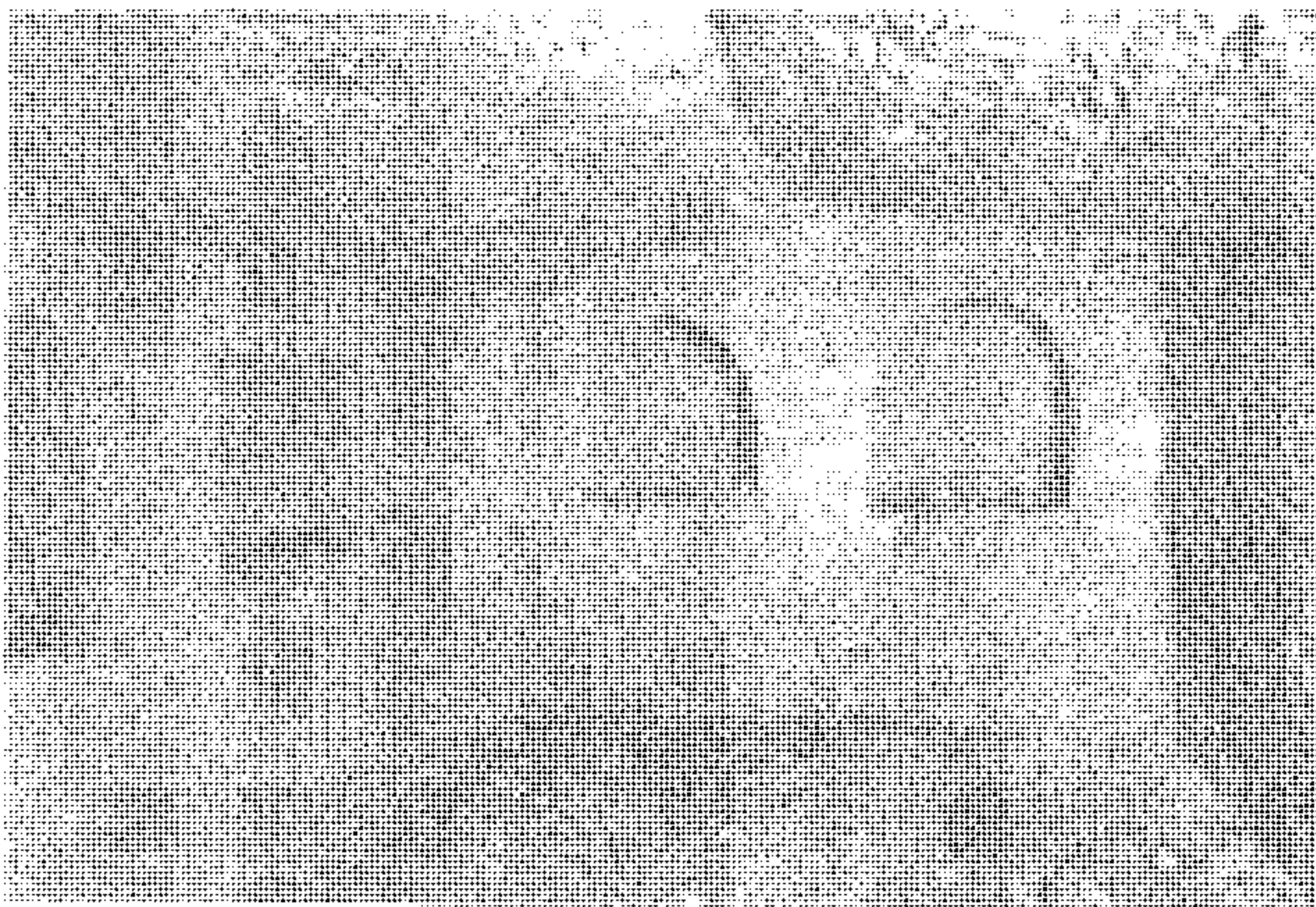
لقد لوحظ أن القينات المكتشفة على شكل دائرى ذات قاعة مسطحة وعنق قصير اسطوانى الشكل ومقبض واحد ملتصق فى نهاية حافة القنية ، وفى نهاية الرقبة توجد فتحة الفم .

يشير العلماء بأن بداية اكتشاف الزجاج المصنوع بطريقة النفخ يرجع إلى القرن الأول ق م بمدينة الاسكندرية فقد كانت تصنع زهريات من معجون الزجاج حيث انتشرت هذه الصناعة فى جميع أسواق العالم المعروف فى ذلك الوقت .

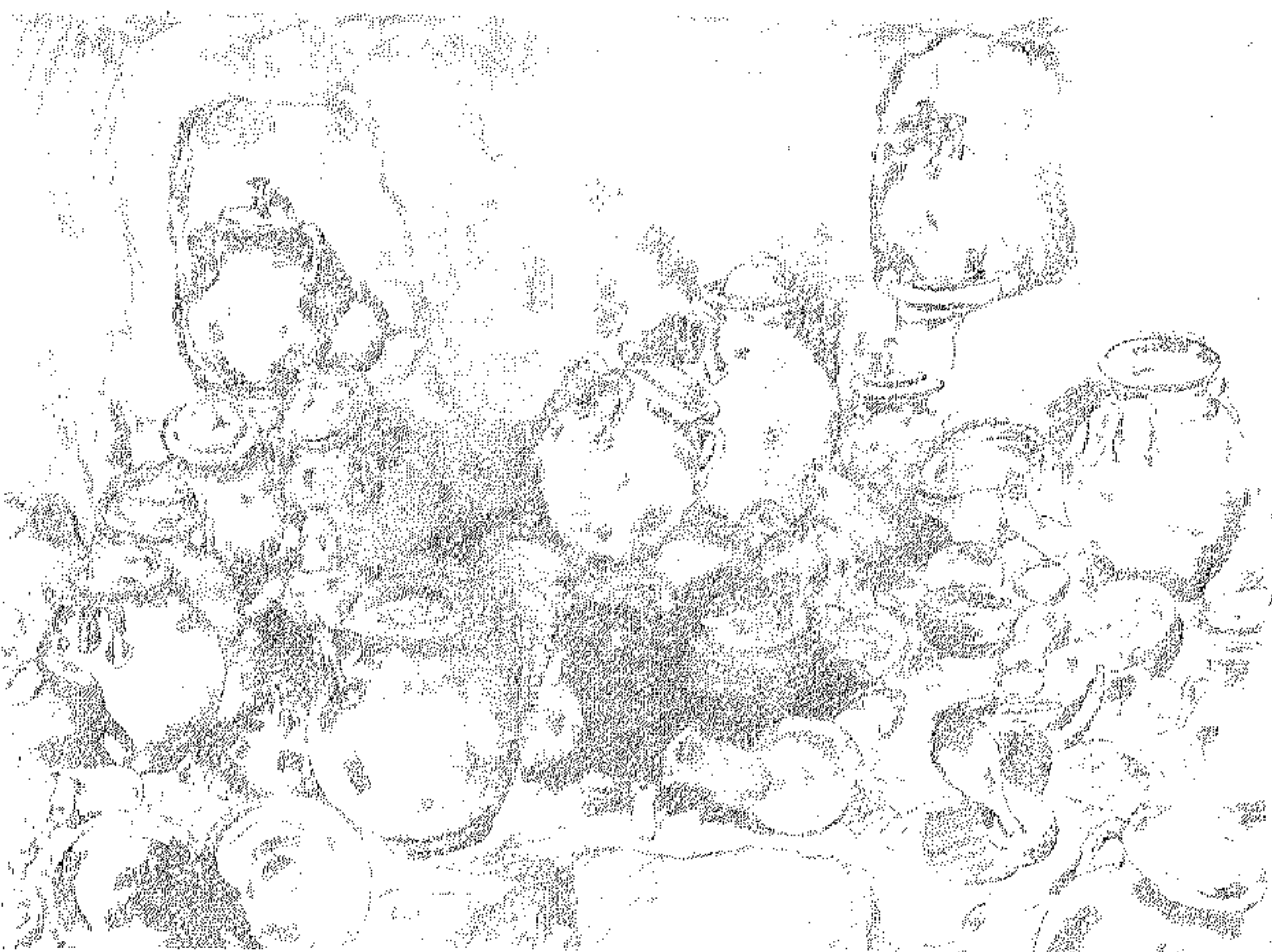


شكل (١٠)

أدوات زجاجية متنوعة عثر عليها بمقابر برج الدالية .



شكل (١١)
أحد مدافن برج الدالية من الداخل .



شكل (١٢)
بعض الأدوات التي عثر عليها بداخل أحد مدافن برج الدالية .

أباريق بأشكال مختلفة

لقد عثر بمقابر برج الدالية على أباريق بأشكال مختلفة منها على شكل إسطواني وبعض منها مربعة بحافة منحنية وهي على شكل (bomylios) أو (Alabaston) اليوناني وعثر على كتوس على شكل اسطواني وبعضها مخروطي الشكل .

اللقىات الفخارية

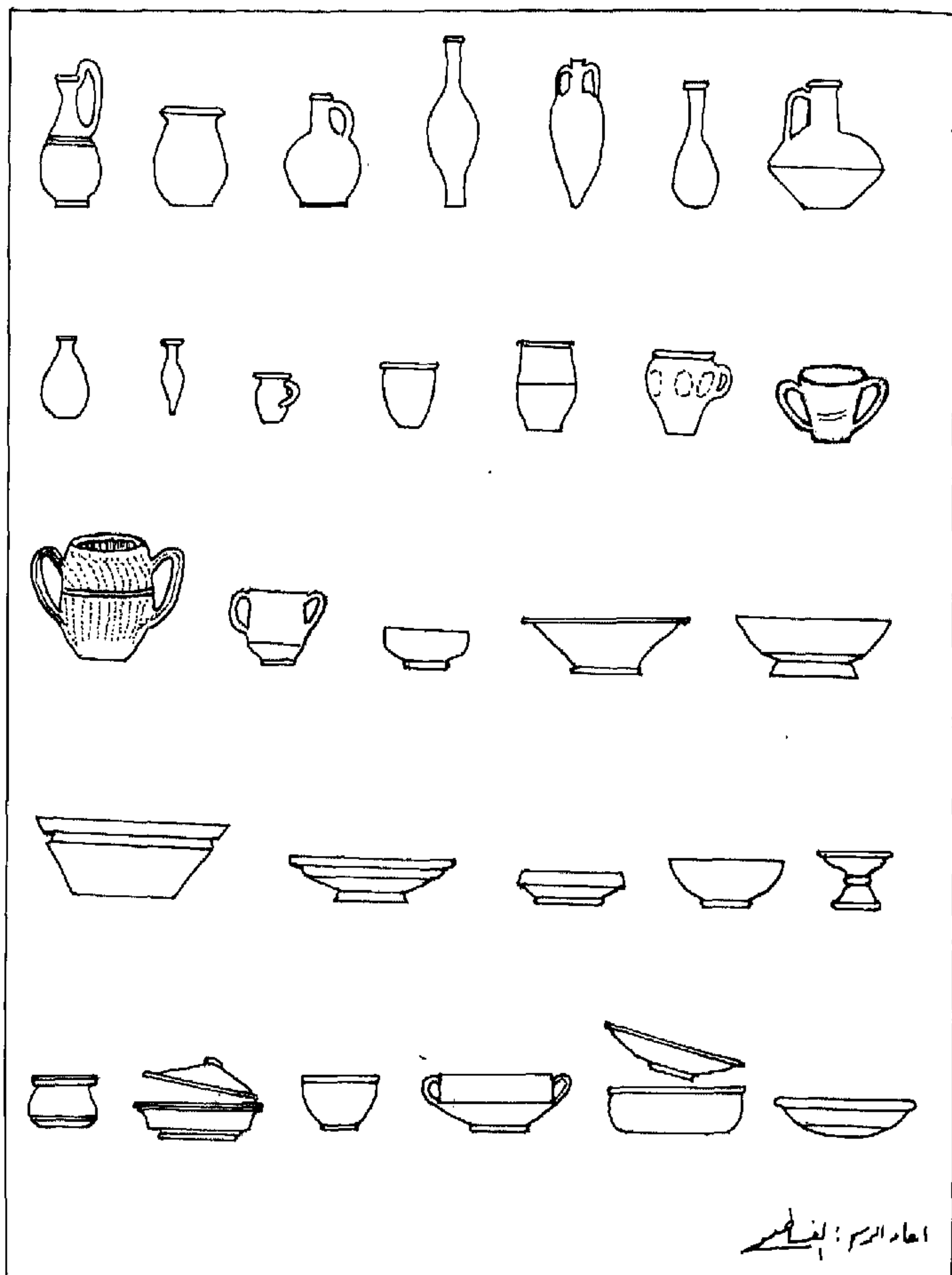
إن اللقىات الفخارية التي عثر عليها والمعروضة الآن بمتحف الآثار بطرابلس بعضها مصنوعة من طينة صلصالية عادية وبعضها من طينة ذات حبات غليظة بعكس الأواني المصنوعة من النوع الاريثني ، وأشكال الزهريات لا تبعد عن الأنواع المعروفة ما عدا في بعض الحالات وقد وجدت في المقابر صناديق من الفخار بها عظام محروقة ذات عمق مسطح وجسم بيضوي ، وفي نصفها الأعلى ترتفع على شكل كفة يد ، الصندوق به فتحة مزدوجة بمقبض على شكل جسم عصفور .

العجينة المكون بها الأشكال المعمولة منها الصناديق الفخارية تظهر في الأغلب غير نقية وقد عثر داخل المقابر على بعض الجرار الفخارية بعض منها بالجسم المتوسط والمستعمل لحفظ العظام المحروقة وبعض منها من الجرار الكبيرة لحفظ السوائل ذات جسم طويل وقاعدة مذبذبة برقبة طويلة وبمقبض ، هذا كما عثر على مجموعة كبيرة من الطناجر والصحون والكتوس وبعض الأدوات الأخرى الصغيرة من الأواني ذات أشكال وأحجام مختلفة وكلها مصنوعة من تربة طينية محلية ، كما عثر على بعض الأواني الارثينية ومن الأكيد أنها مؤرخة من العهد الفلافي .

اللقىات المعدنية

اللقىات المستخرجة من مقابر برج الدالية اتضح بأنها مصنوعة من صفائح معدنية وهي خليط من الرصاص والزنك والبعض منها من البرونز ، الأواني المعدنية الخاصة بالمحروقات تتكون من نوعين .

في بعض الأحيان ذات شكل يشبه صندوقاً مستطيلاً مصنوعاً من قطع مستطيلة من المعدن المنحني والآخر مائل ، وفي بعض الأحيان على شكل زهرية (Olla) جسمها الأسفل على شكل مخروطي والقسم الأعلى على شكل قارب دائري .



شكل (١٣)
أنواع مختلفة من الأواني الفخارية عشر عليها بمقابر برج الدالية .

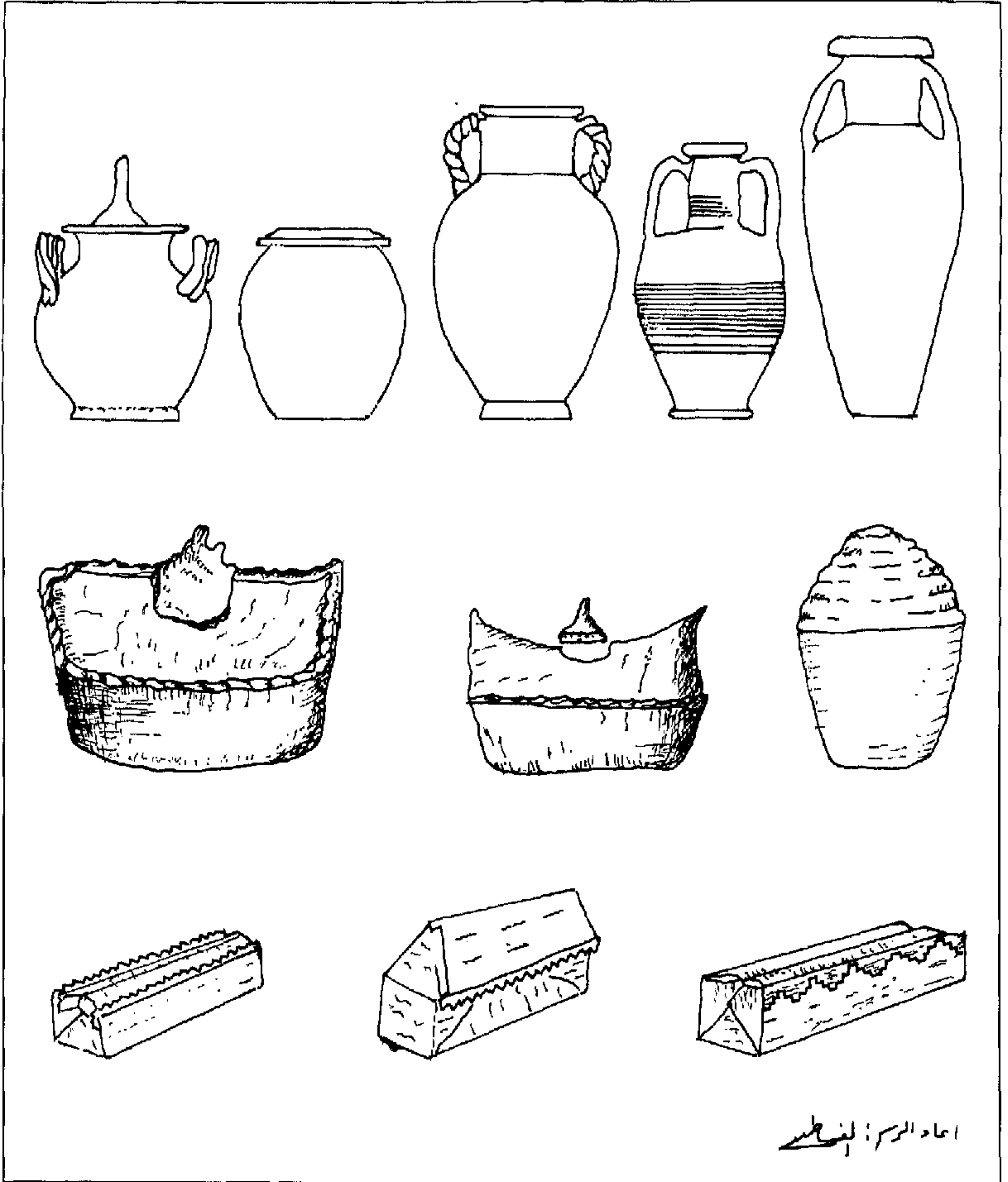
ويلاحظ أن الزهريات (Olli) الزجاجية التي بها عظام الموتى تحمل غطاء بصفائح معدنية رقيقة ، أما من ناحية الأدوات المصنوعة من البرونز فنذكر هنا بالذات مجموعة من الأدوات المعدنية المستوردة على شكل اسطوانات والممكن أن بعضاً منها استعمل كمرايا للزينة ، كما عثر على مصابيح ذات صحن من أسفل باسطوانة للزيت ولها أماكن لوضع فتائل الإضاءة ، من بين الأدوات التي عثر عليها داخل مقابر برج الدالية بعض أدوات على شكل فاكهة رمان مصنوعة من الجبس وبعض الأدوات العاجية وإبر لتصفيف الشعر .

الطقوس الجنائزية

الطقوس الجنائزية التي كانت عليها جماعات الأهالي هي الدفن تحت التراب والحرق بالنار والغالبية هذه الأخيرة . والقبور التي عثر عليها سليمة إما قبور مشتركة أو قبور عائلية وقد وجد بها عدد كبير من الأواني (Olli) لحفظ عظام الموتى ، بعض منها من الزجاج والبعض الآخر من الطين المشوى وقد تغلبت عملية مذهب الحرق الذي ربما حدث بعد أن وفدت جماعة كبيرة من أهالي صقلية واختلطت بالسكان النوميديين .

تحديد تاريخ الدفن ببرج الدالية

لقد تبين من مقارنة مدافن برج الدالية والمقابر الموجودة بصقلية بأنها تعود إلى بداية القرن الثالث ق م . وقد ظلت في الاستعمال حتى القرن الأول الميلادي ، توجد لقيات أثرية تعود إلى هذه الفترة . وقد عثر كذلك على قطعتين من النقود تحمل راي الملك ميسيسا والمشهور عنه أنه تولى ملك نوميديا ما بين ١٤٨ — ١١٨ ق م كما عثر على عملة قرطاجية وعثر على بعض الأواني تعود إلى القرن الأول الميلادي .

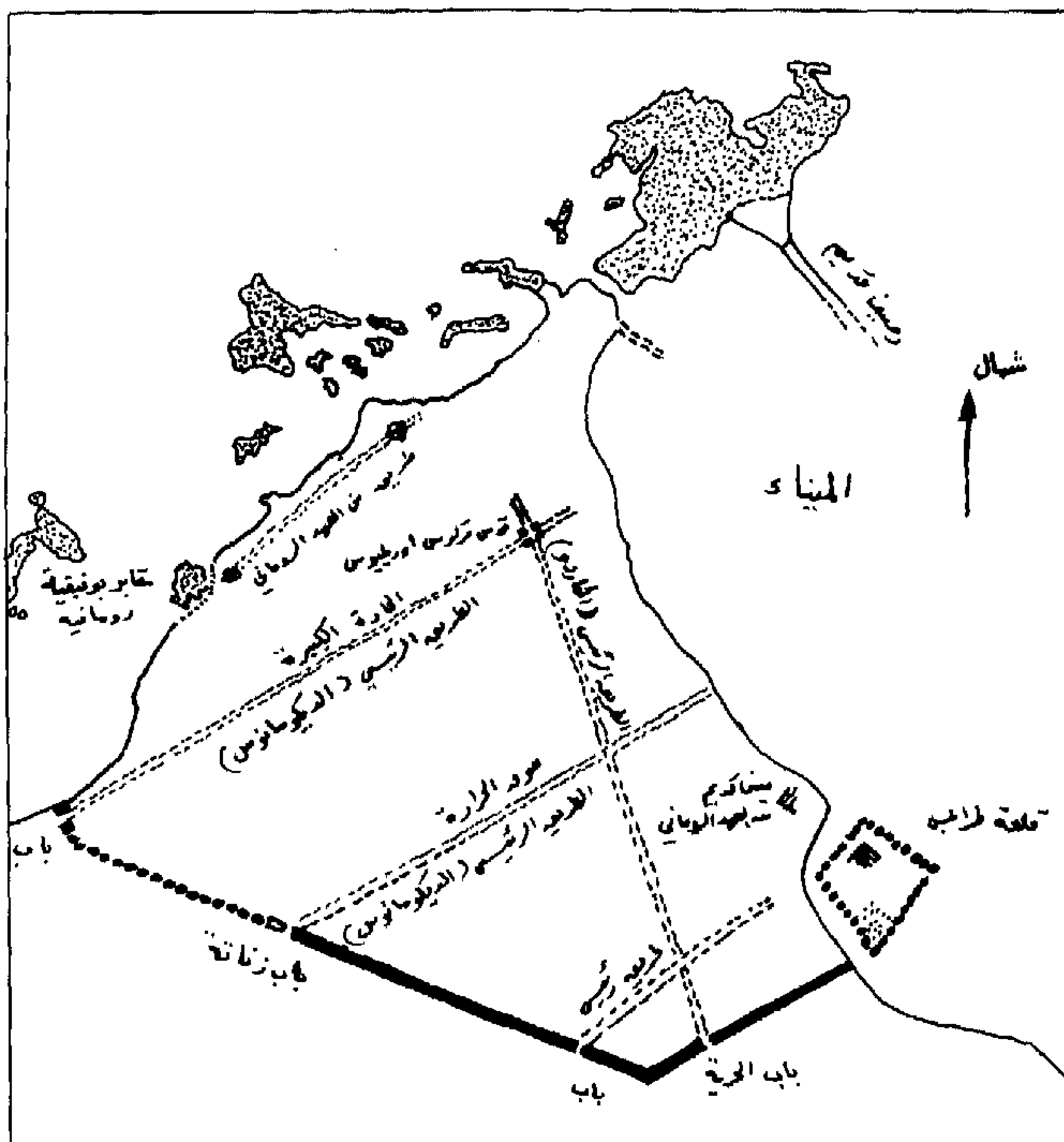


شكل (١٤)

مدافن مختلفة من الفخار والزجاج والرصاص لحفظ بقايا جثث الموتى عثر عليها ببرج الدالية بطرابلس .

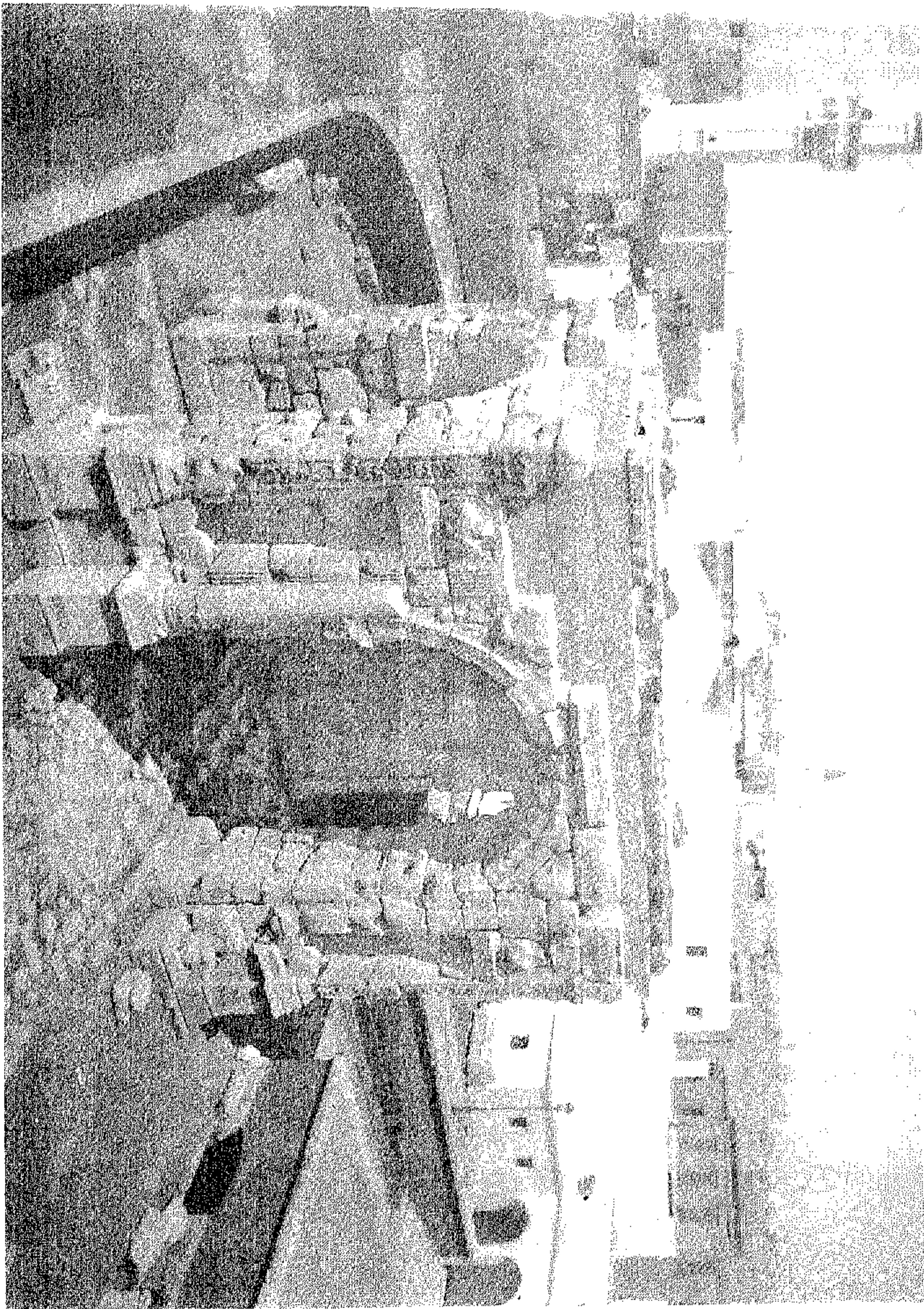
قوس مركوس أوريليوس

يعتبر قوس (مركوس أوريليوس) الكائن بمنطقة باب البحر أمام ميناء طرابلس من أهم معالم المدينة في العهد الروماني ، وهو الأثر الوحيد الذي لا يزال باقيا بها يدل على عظمتها وتقدمها العمراني في تلك الحقبة التاريخية الهامة وقد كانت بعض معالم هذا القوس ظاهرة حتى سنة ١٩١٢ م ، حيث بدأت إدارة الآثار بإجراء حفريات عليه وتم ترميمه ودراسته فيما بعد وقد عثر على بعض الجدران التي شيدت عليه في فترات لاحقة . كما أزيلت بعض المباني السكنية التي بنيت بجانبه ، وقد توالى الاكتشافات المهمة بهذا الموقع حتى سنة ١٩١٨ حيث انتهت الحفائر به ، وقام فيما بعد بترميم القوس عالم الآثار (جاكومو كابوتو) والمعماري (فاوستو) سنة ١٩٣٧ م ، وقد ظهرت أخيرا دراسة كاملة عن هذا القوس في الملحق الثالث لمجلة ليبيا القديمة بقلم البروفسور أوريجيا دشن القوس سنة ١٩٦٣ م تكريما للامبراطور مركوس أوريليوس (Marcus Aurelius) والامبراطور لوكيوس فيروس (Lucius Verus) على نفقة أحد أبناء مدينة أويا يدعى جايوس كالبورنيوس سليكوس (Gaius Calpurnius Celsus) وهو مدير من أبناء المدينة ودشنه نائب القنصل سيرجيوس كورنيليوس سلفيد ينوس أورفيتوس (Sergius Cornelius Salvidienus Orfitus) وقد أقيم عند تقاطع الطريقين الرئيسيين في مدينة أويا ، وللقوس أربع واجهات ، كل واجهة تقابل أحد جانبي الطريقين أى كل واجهة تتجه ناحية أحد الشوارع الرئيسية في المدينة ويمر الطريقان من أسفل القوس ونلاحظ أن الواجهتين الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية أكثر اتساعا من الواجهتين الأخرين ويعلو القوس قبة مثمثة الأضلاع من ثلاث حلقات مكونة من كتل صغيرة من الرخام مسلوكة مخروطية الشكل متراصة جنبا إلى جنب حيث تكون خطا منحنيا ، وتغلق القبة من أعلى عند القمة قطعة دائرية مثمثة الأضلاع ومداخل القوس جميلة على شكل نصف دائري وقد زينت واجهاته ببعض المنحوتات الرخامية تمثل بعض الأساطير وبعض المؤهلات القديمة وكذلك بعض التماثيل للأباطرة ولسوء الحظ عثر على بعض المنحوتات في حالة سيئة نظرا لقرب البناء من شاطئ البحر حيث أثرت عليه العوامل الجوية ويوجد على جانبي المدخل المعقود اثنان من الأعمدة .



شكل (١٥)

قوس مركوس أوريليوس وشوارع مدينة طرابلس في العهد الروماني .



شكل (١٦)
منظر عام لقوس الامبراطور ماركوس أوريليوس بواب البحر بالمدينة القديمة بطرابلس .



شكل (١٧)

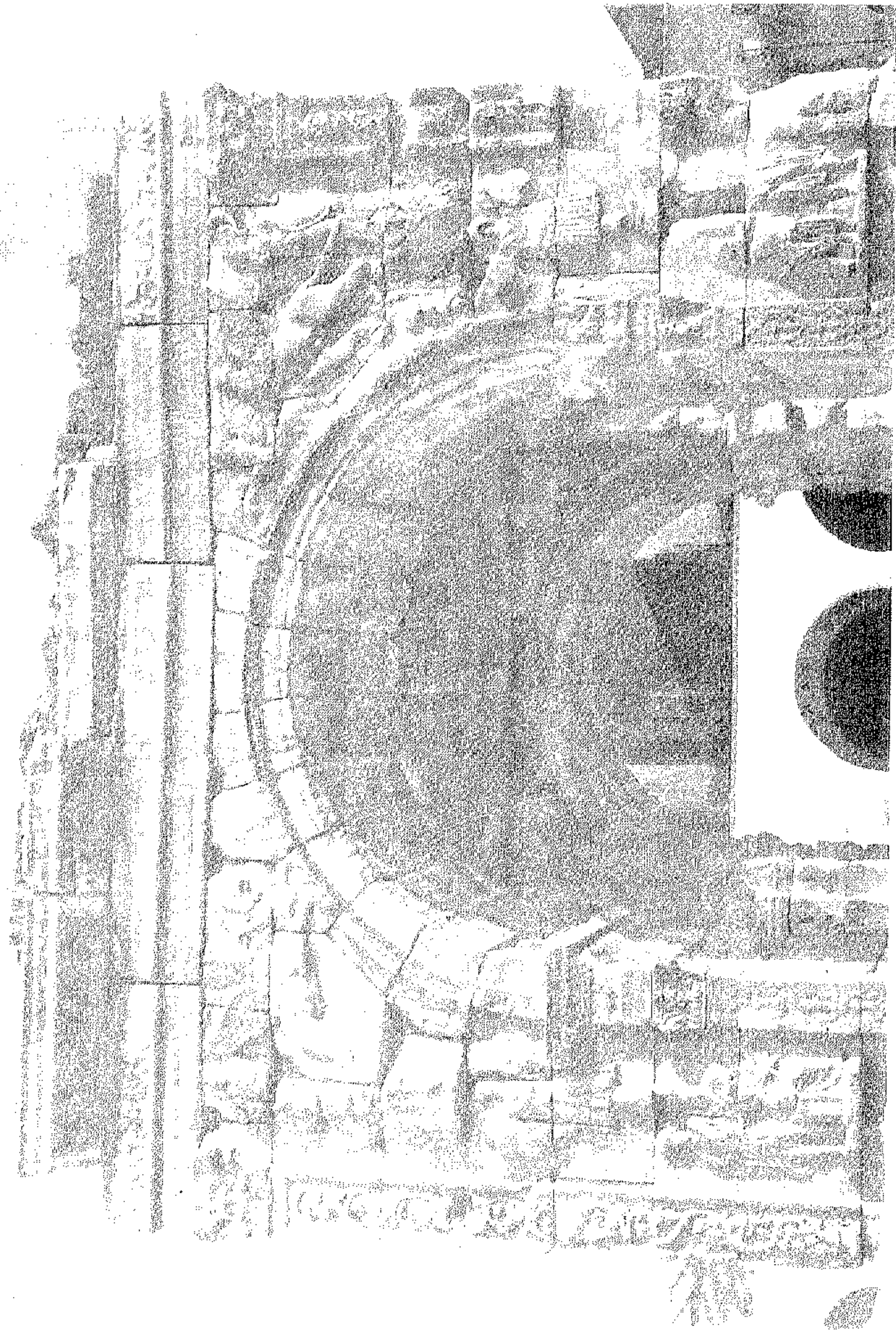
قوس مركوس اوريليوس في العهد العثماني وكان يستعمل متجرا للبيع والشراء .

الكورنثية ، كما توجد على جانب المدخلين أيضا كوتان كانت بهما تماثيل الأباطرة الرومانيين . وقد اكتشف تمثال للامبراطور لسيوس فيروس في يناير ١٩١٧ م أمام واجهة القوس الجنوبية الغربية ، والتمثال موجود الآن بمتحف السراى الحمراء (القطعة رقم ٧٨) أما المنحوتات الأخرى التى توجد فوق الكوات فمن الصعب التعرف على معالمها بسبب تآكلها ولكن توجد منحوتات أخرى كـ (كيوييدات) أو آلهة الحب ممسكة بأكاليل من الأغصان وفى زوايا القوس توجد آلهة النصر المجنحة (فكتورى) (Victory) وتحتها من الناحية الجنوبية الغربية نجد شعارات المؤهلين (أبولو) و (مينيرفا) الحاميين لمدينة أويا وهى مكونة من حربة لها شوكة ذات ثلاث أسنان وغراب خاصة بالآلة أبولو وخوذة ودرع ورمح وبومة على اليمين خاصة بالآلهة مينيرفا ، كما توجد على جانب كل كوة حتى أعلى القوس دعمتان ، الدعامة الداخلية عليها خطوط عمودية غائرة والدعامة الخارجية عليها رخارف نباتية لولبية .

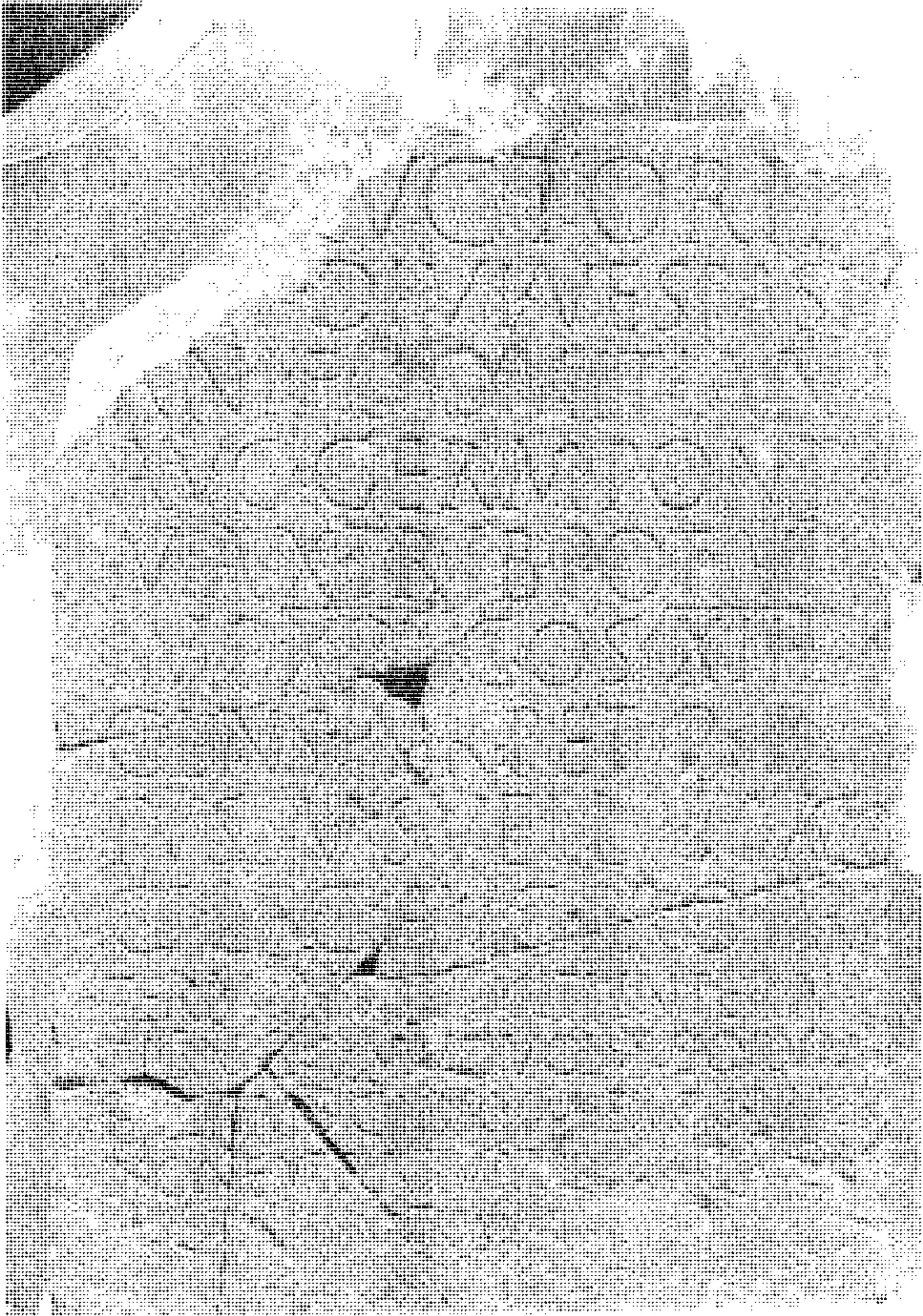
أما الجانبان الآخران للقوس الشمالى الغربى والجنوبى الشرقى فتشابهان إلى حد كبير وقد عولجا بطريقة معمارية أكثر دقة ولهما مداخل كبيرة معقودة على جانبيها دعامات عليها رسوم لبعض الأسرى البرابرة ، وفى زاوية القوس توجد منحوتة تصور الإله أبولو يقود عجلة يجرها اثنان من (الجريفين)^(١) (Griffins) المجنحة وتحتها شعارات هذا الإله وهى القيثاره والقوس وغصن الغار ، ويقابل أبولو فى الزاوية الأخرى من القوس صورة مينيرفا تتركب عجلة يجرها اثنان من (الاسفنكس) (أبو الهول المجنح)^(٢) وأسفلها نجد شعارات الآلهة وهى الخوذة فوقها بومة والدرع والرمح وغصن الزيتون .

(١) (جريفين) (Griffins) هى مخلوقات أسطورية لها جسم أسد ورأس نسر تعيش فى أقصى شمال العالم وقد كرست الجريفين قد يما للإله أبولو وعندما ارتبط أبولو (هيليوس) (Helios) إله الشمس أصبحت الجريفين الحيوانات المقدسة لهيليوس التى يجرعته عبر السماء ووفقا لأقوال آخرين أنهم سكنوا شمال الهند حيث كانوا يجمعون التبر من الصحراء وكان المواطنون يحاولون أن يسرقوه منهم . ونظرا لأن الجريفين كانوا مفترسين فإن المواطنين كانوا يقدمون لهم الطعام ويسرقون التبر منهم اثناء تناول الغذاء .

(٢) (الاسفنكس) (Sphinx) حيوانات أسطورية مخيفة بجسم لبؤة ورأس امرأة لها أجنحة روى عنهم سكان طيبة اليونانية أنها كانت تعترض المسافرين وتلقى عليهم الألفاظ ومن يعجز عن حلها تباذر لحقته . ولفظ اسفنكس فى اليونانية تعنى الخانقة ويطلق اليونان هذا الاسم أيضا على أبى الهول الذى يرمز لعبادة الشمس وهو برأس إنسان وجسم أسد .



شكل (١٨)
منحوتات الواجهة الشمالية من القوس

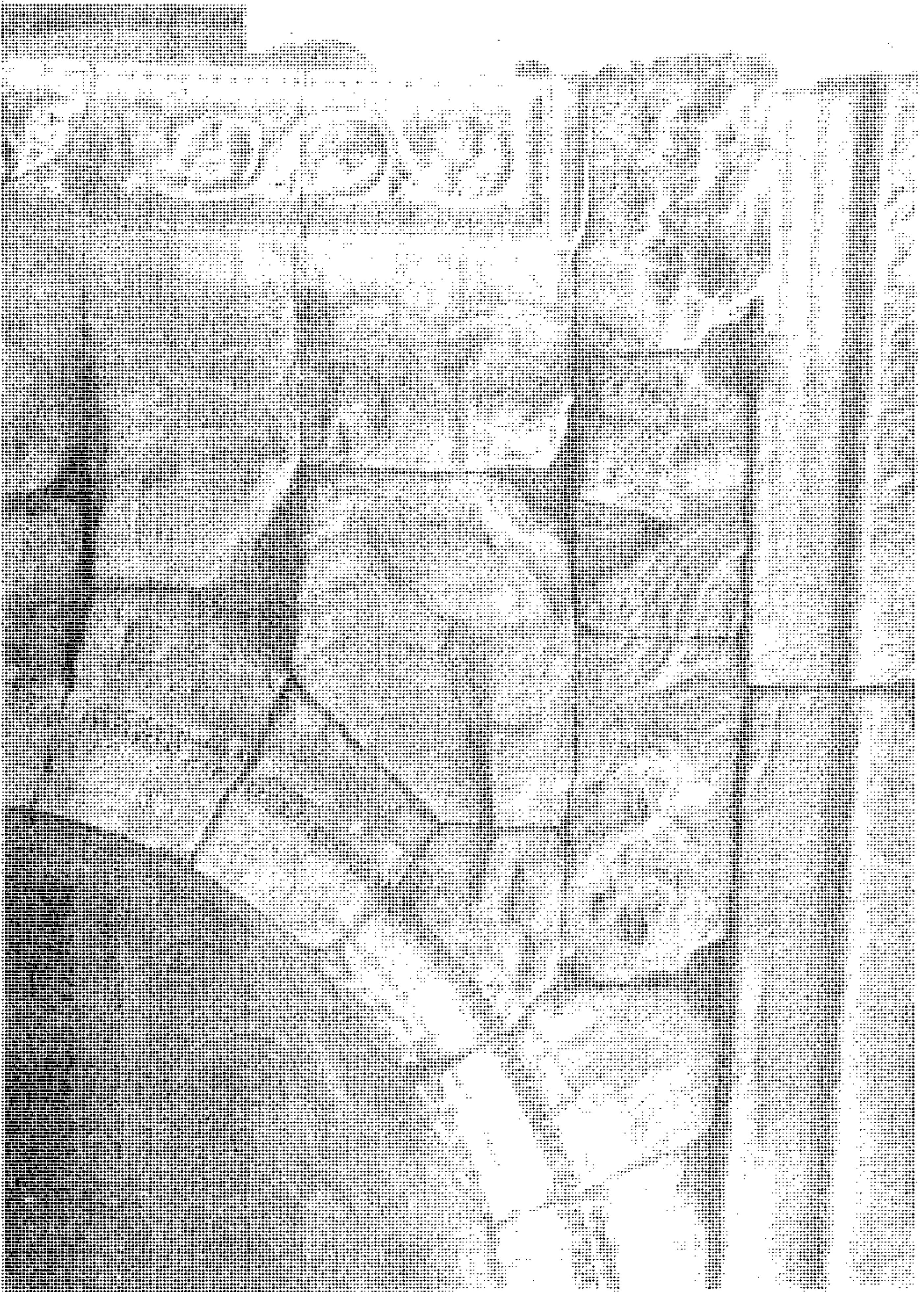


شكل (١٩)

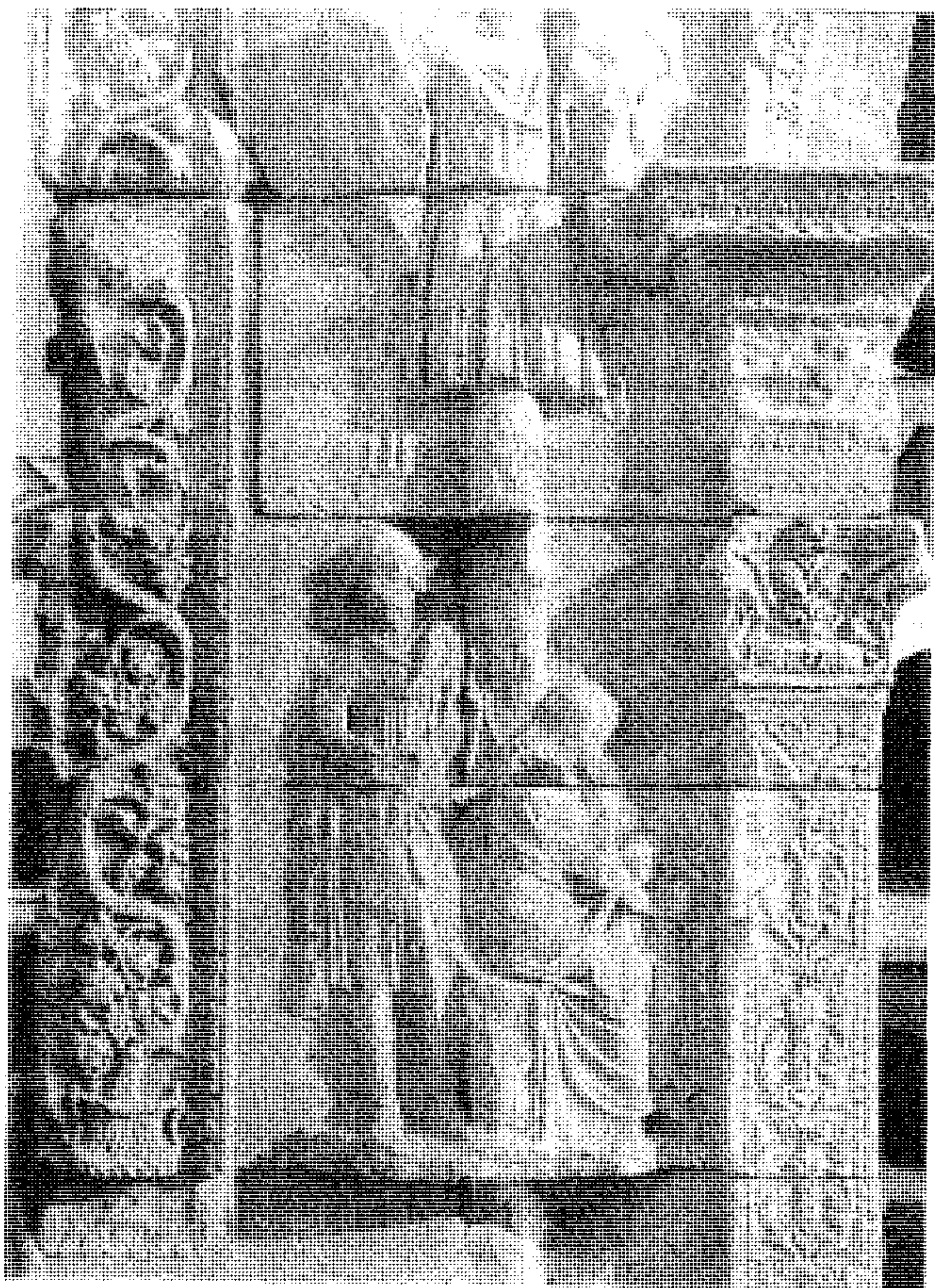
كتابة لائينية عثر عليها بالقوس تذكر اسم الامبراطور مركوس اوريليوس الذي أقيم القوس تكريماله .



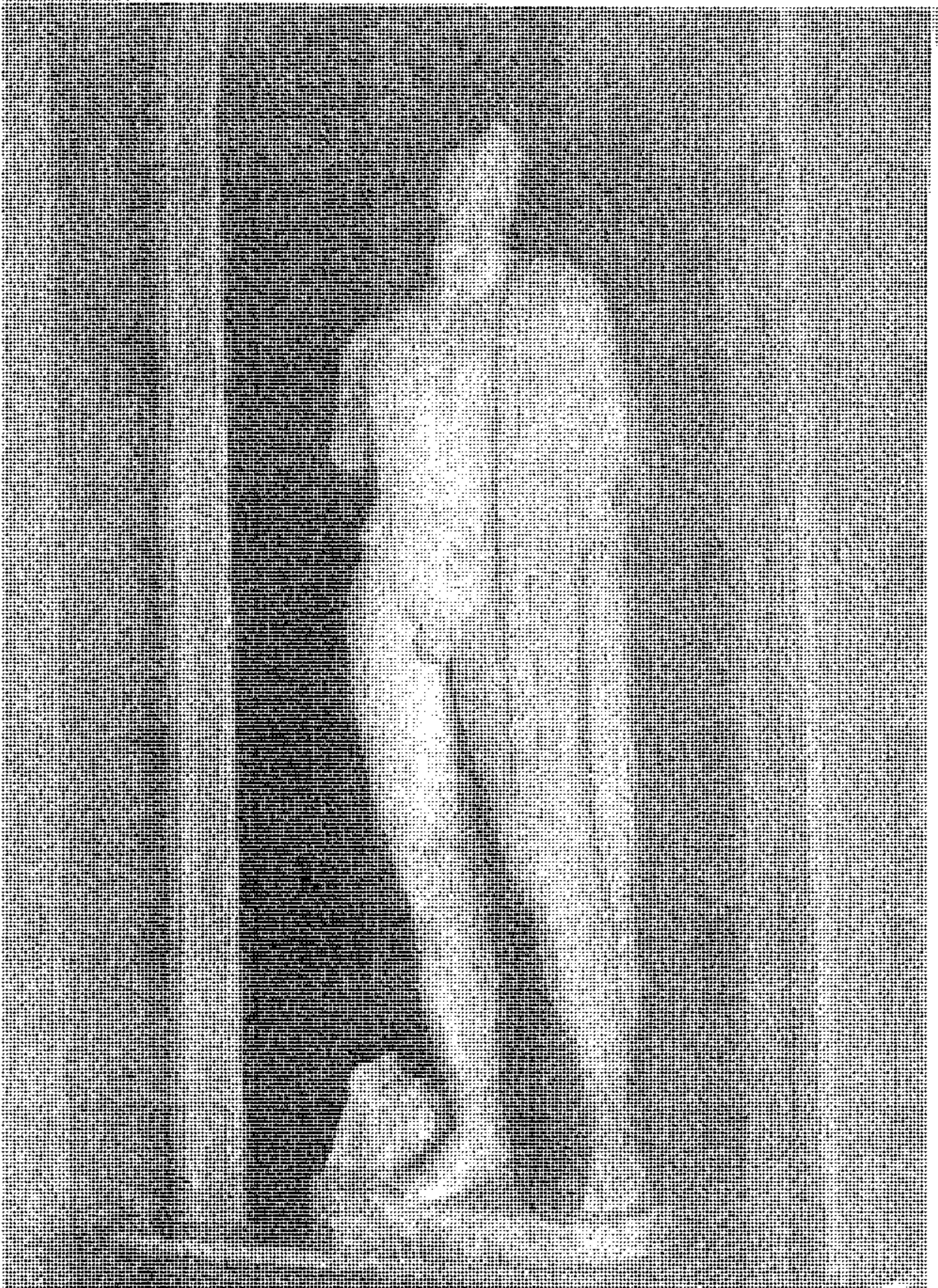
شكل (٢٠)
واجهة القوس الشمالية ، الآلة متروفا راكية على عربة يقودها الاسفنكس الجنيحة .



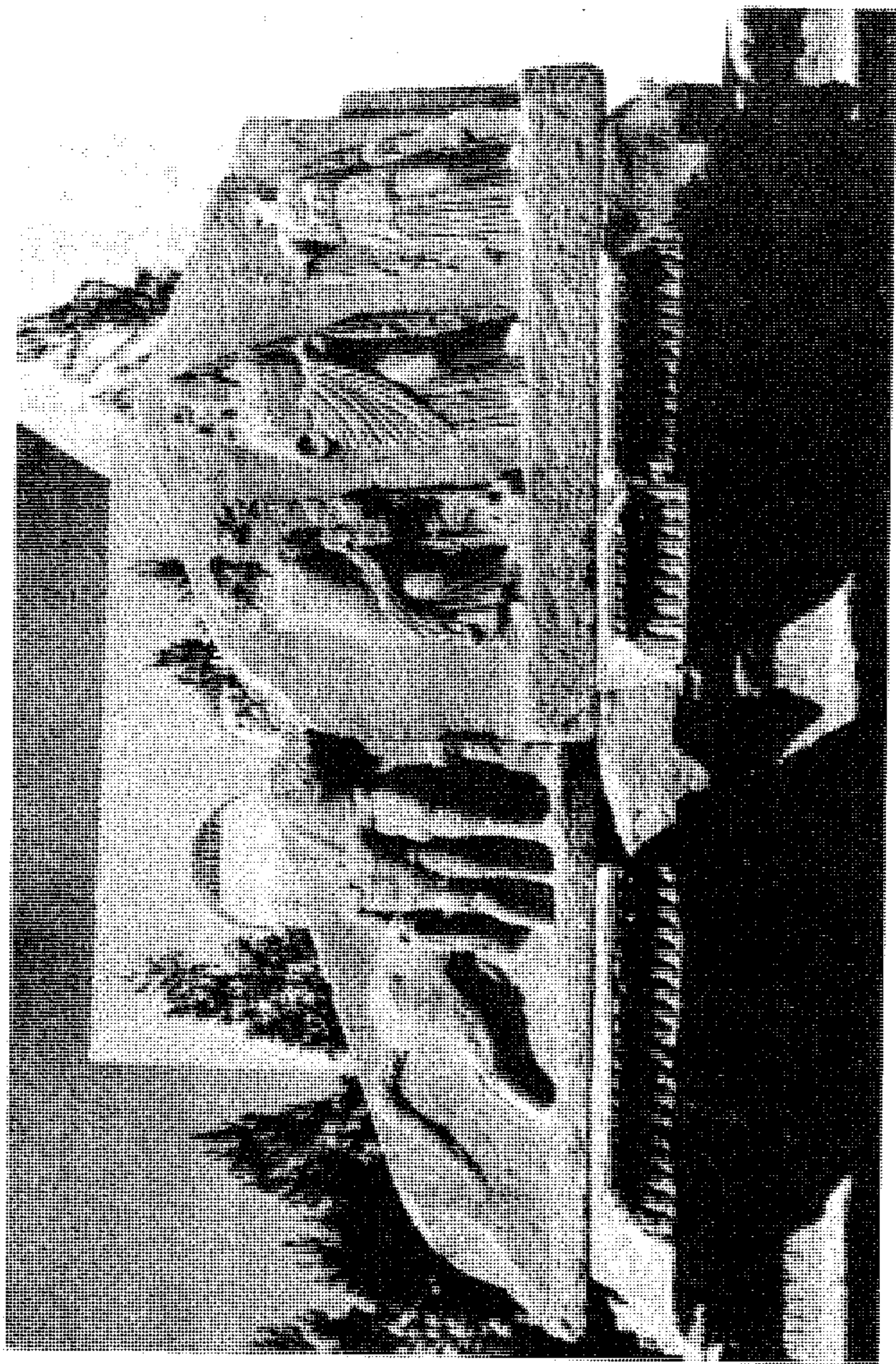
شكل (٢١)
ابو اللو يهود عربية بكبح سماح جريفن (Griffins) وهو حيوان خرافي له جسم أسد ورأس نسر يفتاحيه .



شكل (٢٢)
نحت في الواجهة الشمالية من القوس ويظهر تروفانوس Trophnos ابن أبولو ومجموعة من أسرى الامبراطور .



شكل (٢٣)
تمثال من الرخام يمثل الامبراطور لوشيويس فيروس ، عثر عليه قرب القوس ، مكسور الرأس واليد اليمنى وممرم من عدة
قطع .



شكل (٢٤)
نحت من الرخام عثر عليه قرب قوس مركوس اورديليوس .

أما الجزء العلوى من الواجهات فهو فى حالة سيئة ويحمل لوحة التدشين المتكررة بالواجهات الأربع لكنها غير كاملة باستثناء النحت الذى على الواجهة الشمالية وقد بنى القوس على مستوى أعلى من سطح البحر بارتفاع ٣٥١ متراً ويحتمل أن القوس كان يتوسط الفوروم أو الميدان الذى كان محاطاً بالمباني الرئيسية فى المدينة . وقد كشفت حفائر سنة ١٩١٤ — ١٩١٨ م على بعض البقايا الأثرية حول القوس . وقد بنى القوس من الداخل بالأحجار المحلية وغطى بالرخام اليونانى .

وقد ذكر القوس بعض الرحالة العرب مثل الرحالة المغربى العبدري الذى مر بطرابلس فى طريقه للحج حوالى سنة ٦٨٨ هـ ١٢٨٩ م . بعد ذلك ذكره الرحالة التونسى التجانى سنة ٧٠٦ — ٧٠٨ هـ الموافق لسنة ١٣٠٧ م وقد مكث التجانى ثمانية عشر شهراً فى طرابلس ووصف مدينة طرابلس مشيراً إلى القوس بأنه مبنى من المباني العجيبة وهو على شكل قبة من الرخام المنحوت ، ثم بعد ذلك وصف القوس (نيكولاس دى نيكولاى) الفرنسى ١٥١٧ م — ١٥٥٨ م الذى رافق سفير بلاده إلى طرابلس . وفى القرن السادس عشر نجد رسمين يمثلان المدينة بما فى ذلك القوس ، الرسم الأول يعود إلى فترة الغزو الإسباني ١٥١٠ — ١٥٣٠ م والرسم الثانى يعود إلى سنة ١٥٥٩ م ، وهذان الرسمان رسماً لأغراض عسكرية لتوضيح وتحديد أسوار مدينة طرابلس والتحصينات القديمة الموجودة بها . وقد أصبح هذان الرسمان ذات قيمة تاريخية فى الوقت الحاضر . وفى سنة ١٦٧٦ م نجد وصفاً للمدينة كتبه طبيب جراح من مواليد (بروفنسا) أسر سنة ١٦٦٨ م بطرابلس وبقى أسيراً حتى سنة ١٦٧٦ م . وقد أشار فى كتابه المعنون باسم (أخبار تاريخية عن طرابلس) إلى قوس ماركوس أريليوس وذكر أنه لمستعمل مخزناً لأدوات الصيد البحرى .

بعد ذلك تستمر زيارة الرحالة إلى طرابلس فى القرن الثامن عشر ، وفى مستهل القرن التاسع عشر ومنها رحلات على بك العباس وهى تشير إلى هذا القوس وأهميته أثناء إقامته بطرابلس سنة ١٨٨٥ م — ١٨٨٦ م .

والواقع أن كثيراً من الرحالة العرب والأجانب وصفوا قوس ماركوس أريليوس وذكروا بعض معالمه كأحد المباني الهامة فى مدينة طرابلس .^(١)

(١) Salvatore Aurigemma: L'Arco quadrifronte di Marco Aurelio e Lucio Vero in Tripoli pp. 71-112. Published by the Department of Antiquities - Tripoli.

النص المكتوب على لوحة تدشين قوس ماركوس أوريليوس

- 1 — Imp Caes Aurelio Antonin Aug PPET.
- 2 — Imp Caes L. Aurelio Vero Armeniaco Aug.
- 3 — Ser. S. Orfitus Procos Cum Uttedio.
- 4 — Marcello Leg Suo Dedicavit. C.
- 5 — Calpurnius Celsus Curator Muneris.
- 6 — Pub Munerarius II Vir Q. Q. Flamen.
- 7 — Perpetuus Arcu Marmore Solido Fecit.

- ١ — إلى الامبراطور قيصر اوريليوس انطونينوس أغسطس أبو الوطن و
- ٢ — الامبراطور قيصر لسيوس فيروس أغسطس الارميني (قاهر أرمينيا)
- ٣ — سيرفيوس كورينلوس سيكيو اورفينوس نائب القنصل (حاكم أفريقيا الثالث)
- ٤ — مع مارشيللو وكيله ذكيرس جايوس
- ٥ — كالبورنيوس كليوس مدير الأعمال العام ومراقب الخدمات العامة
- ٦ — مع فلافينتيوس راهب قداسة الامبراطور مدى الحياة
- ٧ — شيد هذا القوس من الرخام الصلب على حسابه الخاص .

وقد انتزع هذا النص من على القوس من قبل الانجليز عند احتلالهم لمدينة طرابلس سنة ١٩٤٣ وأهدى إلى المتحف البريطاني .

يذكر هاينز في كتابه آثار طرابلس الغرب صفحة ١٠٣ أن القوس شيد على نفقة جايوس كالبورنيوس سيسيوس تكريما للامبراطورين ماركوس أوريليوس ولسيوس فيروس ودشنه نائب القنصل سيرجيوس كورنيليوس سيبو ونائبه اوتيديوس مارتشيللوس .

[REDACTED]

[REDACTED]

7.

[REDACTED]

بعض مواقع أثرية بضواحي مدينة طرابلس

اكتشفت بضواحي مدينة طرابلس بعض المواقع الأثرية الهامة التي تعتبر من أهم المكتشفات الأثرية بالبلاد ، ونود هنا أن نعطي القارئ صورة مختصرة عن هذه المواقع الأثرية المكتشفة نظراً لأهميتها التاريخية والحضارية كما أن لها علاقة بتاريخ مدينة طرابلس حيث تصور لنا كيف كانت حياة سكان المدينة وضواحيها من بداية القرن الثالث ق. م . حتى القرن السادس الميلادي وتصور لنا كذلك معتقداتهم الدينية وحياتهم الاجتماعية وهذه المواقع الأثرية تختلف من مكان إلى آخر حيث نجد بعضاً منها تتميز بكثرة منشآتها المختلفة مثل الفيلات التي اكتشفت على سواحل منطقة طرابلس كفيلا تاجوراء شرق مدينة طرابلس ، ويبدو أن سكان هذه القيلات كانوا يتمتعون بحياة مرفهة فقد وجدت بعض الحجرات مغطاة بالفسيفساء والرخام والرسومات الجدارية الملونة ، وعثر على معالم أثرية أخرى بجنزور وهي تمثل الحياة الجنائزية لسكان طرابلس ويرجع تاريخها إلى العهد الفنيقي واستعملت فيما بعد حتى العهد الروماني المتأخر ، كما اكتشفت آثار متنوعة بمنطقة قرقارش القريبة من مدينة طرابلس وهي تبرز لنا حياة السكان في ذلك الوقت والتطورات المختلفة التي طرأت على حياتهم ، هذا كما تم في المدة القريبة الماضية اكتشاف مقابر فنيقية في منطقة باب بن غشير ومنطقة أبي ستة وسيدى المصرى اكتشفت بداخلها أدوات فخارية متنوعة تعود إلى العهد الفنيقي ، وتم عرض محتويات هذه المقابر بمتحف السراى الحمراء بطرابلس ، أما المكتشفات الأثرية التي تعود إلى العهد البيزنطي فتم اكتشاف مقابر مسيحية في منطقة النجيلة وعين زارة وقد ظل استعمالها حتى القرن العاشر الميلادي ، وهذا يدل دلالة واضحة بأن المسيحيين بقوا مستقرين بالبلاد حتى بعد دخول العرب المسلمين وظلوا محافظين على معتقداتهم الدينية ، وبهذه النبذة البسيطة عن أهم مكتشفاتنا الأثرية بضواحي طرابلس سوف نلقى الضوء على هذه المكتشفات التي عثر عليها في المواقع الأثرية وهي كما يلي .

- (١) مقابر باب بن غشير .
- (٢) منطقة حفائر قرقارش .
- (٣) مقبرة مترا بقرقارش .
- (٤) منطقة حفائر جنزور .
- (٥) منطقة حفائر تاجوراء .
- (٦) منطقة حفائر النجيلة .
- (٧) منطقة حفائر عين زارة .

المقابر الفنية باب بن غشير

عثر في طرابلس على العديد من المقابر الأثرية القديمة التي تعود إلى عصور تاريخية مختلفة ، وتمتاز هذه المقابر باختلاف أنواعها من حيث الشكل وطريقة الدفن ، فنجد بعضها مقابر فردية أى خاصة بدفن شخص واحد وبعضها مقابر عائلية يدفن بداخلها أفراد عائلة واحدة على فترات متفاوتة وقد نجد بعضها حفر أسفل سطح الأرض على شكل حجرات أو أحيانا عملت على شكل سراديب منحوتة تحت الأرض بينما نجد البعض الآخر على شكل أضرحة تشبه المعابد أو المسلات ، ويرجع السبب في هذا التنوع في عمل المقابر أو المدافن لاختلاف العادات والتقاليد والمعتقدات الدينية التي كانت سائدة في كل عصر من العصور . أضف إلى ذلك الأجناس المتعددة والمختلفة التي سكنت المنطقة .

وقد وجدت في المقابر التي عثر عليها في طرابلس عدة طرق مختلفة للدفن وقد نجد أن كل طريقة للدفن استمرت فترة من الوقت ومرت بمراحل مختلفة من الازدهار والانتشار وانتهت أيضا تدريجيا بمراحل من الاضمحلال والاندثار ، وبالطبع فقد تداخلت كل طريقة مع الأخرى واستمرت فترة من الزمن حيث نجد في أغلب الأحيان طريقتين أو أكثر للدفن في مقبرة واحدة مثلا نجد طريقة الدفن البونيقية وطريقة الدفن الرومانية في العصر المسيحي ، ووجدت مقابر مسيحية في العصر الإسلامي ، حتى ساد الدين الإسلامي واستقرت طريقة الدفن الإسلامية بالمنطقة .

ويمكن أن نقسم طرق الدفن المختلفة في طرابلس حسب المراحل الآتية .

(١) طريقة الدفن البونيقية : من القرن السادس ق م حتى القرن الثاني الميلاد ، وكان الميت يوضع على الأرض بجانب الأثاث الجنائزي الخاص به .

(٢) مرحلة الدفن الرومانية : من القرن الثاني الميلادى حتى القرن الرابع وهى حرق الميت وحفظ بقاياه في أوانٍ خاصة عثر على مثل هذه المقابر في برج الدالية وجنزور .

(٣) مرحلة الدفن المسيحية : من القرن الرابع الميلادى حتى القرن العاشر الميلادى عثر على مثل هذه المقابر في منطقة النجيلة وعين زارة وسرت وفي المناطق الأثرية المجاورة

للبدنة وكان الميت يوضع فى مدافن فردية تحفر فى الأرض ويغطى بالتراب أو يوضع فى سراديب تحت الأرض .

(٤) مرحلة الدفن الإسلامية : من القرن السابع الميلادى أى عند دخول المسلمين إلى البلاد وكان الميت يدفن فى مقابر فردية ويغطى بالتراب وتوجه جثته ناحية القبلة .

بعد هذه المرحلة البسيطة عن أنواع المقابر التى عثر عليها فى طرابلس نعود إلى مقابر بن غشير والتى تعود إلى مرحلة الدفن البونيقية ، وقبل الحديث عن حفريات مقابر بن غشير نود أن نشير إلى أنواع المقابر البونيقية التى اكتشفت فى طرابلس وأهم هذه الأنواع هى :

النوع الأول : كان الميت يوضع كالنائم على ظهره داخل حفرة تحفر فى الأرض وحوله بعض الأثاث الجنائزى الخاص به . عثر على مثل هذه المقابر فى حفريات رأس المنفاخ القريبة من مدينة صبراتة الأثرية ، وهذا النوع من المقابر أقدم المقابر المكتشفة فى المنطقة .

النوع الثانى : كان الميت يدفن فى حفرة تحت سطح الأرض ويقام فوق القبر ضريح يشبه الضريح الذى اكتشف فى مدينة صبراتة الأثرية ، وتعود هذه الأضرحة إلى القرنين الثالث والثانى ق . م .

النوع الثالث : مقابر عائلية بونيقية عبارة عن حجرات صغيرة حفرت تحت سطح الأرض كان يوضع بها الميت وحوله الأثاث الجنائزى الخاص به ، وقد عثر على مثل هذه المقابر فى باب بن غشير وأبى ستة قرب مدينة طرابلس ، كما عثر على مثل هذه المقابر فى الحفريات التى أقيمت أسفل مسرح لبدنة وفى الماية بالقرب من شاطئ البحر وفى مدينة صبراتة وفى مليتة ، وغالبا ماتعود هذه المقابر إلى الفترة من القرن الثالث ق . م . حتى القرن الثانى الميلادى .

مقابر باب بن غشير .

تقع مقبرة باب بن غشير فى منطقة باب بن غشير فى الطريق المار من شمال سجن طرابلس وجنوب سوق باب بن غشير .

وقد عثر على مقبرة باب بن غشير بطريق الصدفة وعلى فترات متعددة وهى عبارة عن جبانة عامة (Necropolis) بها العديد من المقابر البونيقية العائلية تعود إلى الفترة من القرن الثالث ق . م حتى القرن الأول ق . م وتمتد المقبرة فى مساحة كبيرة لم تحدد بعد ، لأن الكثير من المقابر بالموقع لا تزال أسفل المنازل الحديثة .

وقد ظهرت أول مقبرة في الموقع في شهر أكتوبر سنة ١٩٥٧ م بطريق الصدفة عندما كان أحد المواطنين يقوم بحفر أساس لمنزله وسرعان ما توالى الاكتشافات وأسفرت عن ظهور ١٣ مقبرة بونيقية .

وفي سنة ١٩٦٣ م أدت الصدفة أيضا إلى اكتشاف مقبرتين فنيقيتين أخريين بالموقع على بعد عدة أمتار من المقابر السابقة .

وفي سنة ١٩٦٤ م ظهرت مقبرتان أخريان بطريقة الصدفة أيضا شرق بناء الإذاعة القديم بشارع الزاوية مباشرة على بعد حوالى مائة متر جنوب غرب مجموعة مقابر باب بن غشير .

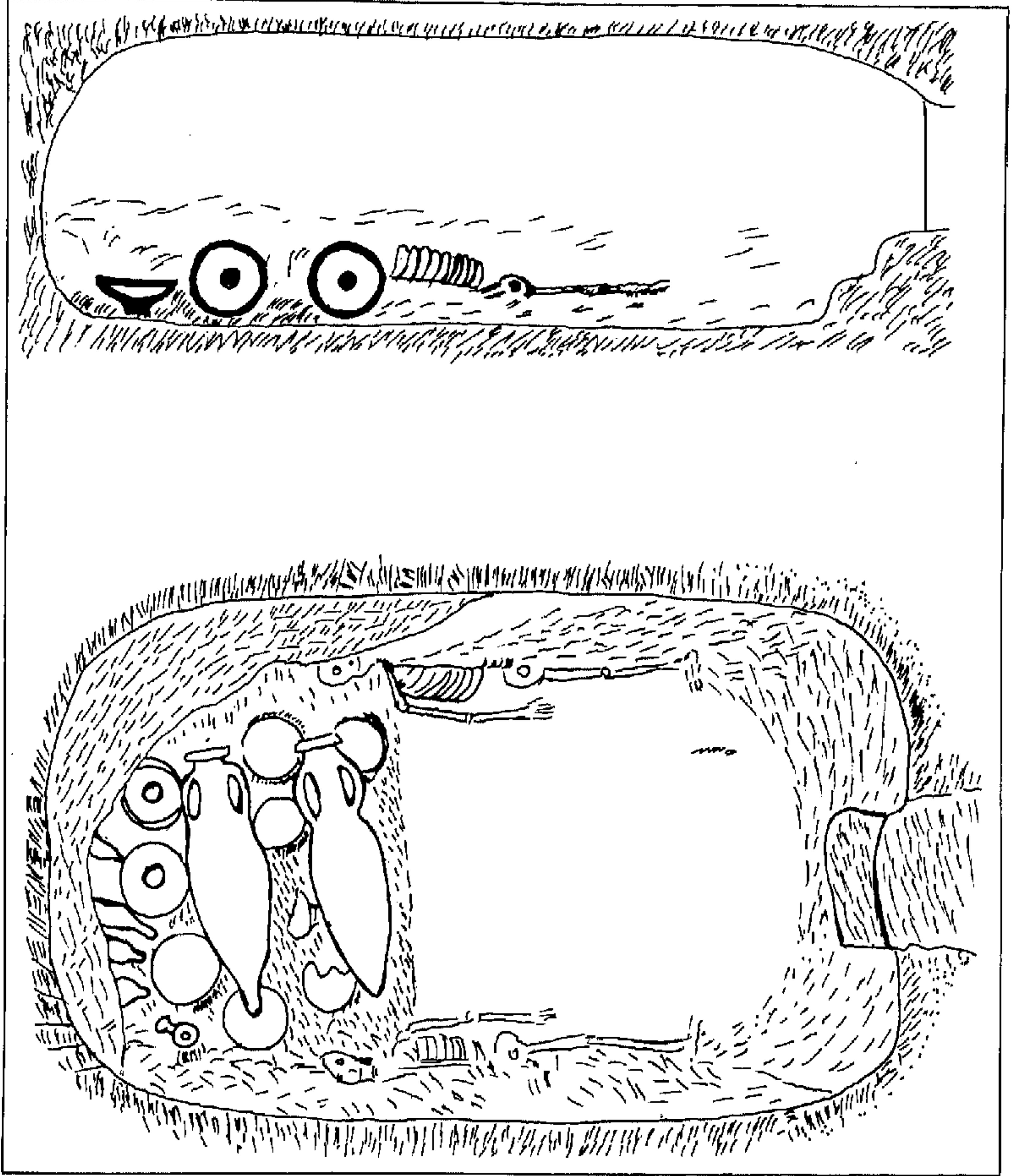
وفي ١٦ أبريل سنة ١٩٧٧ م بينما كان أحد الجرارات يشق قناة لمد أنابيب المياه ظهرت مقبرة فنيقية عائلية أخرى تشبه المقابر السابقة وهى على بعد أمتار معدودة من القابر السابقة وتقع في منتصف الطريق المار من شمال طرابلس وجنوب سوق باب بن غشير وقد عثر في هذه المقبرة على هيكلين عظميين لشخصين ومجموعة من اللقيات الأثرية المختلفة (انظر الرسم رقم (١) ، (٢)) وفي ١٨ سبتمبر سنة ١٩٧٣ م ظهرت مقبرة فنيقية أخرى عائلية غرب المقبرة السابقة على بعد عدة أمتار وذلك أثناء حفر قناة لمد أنابيب للمياه ، وهى تشبه المقابر السابقة ، وعثر فيها على بعض الأمفورات والأطباق .

وبذلك بلغ عدد المقابر التي ظهرت في مقبرة باب بن غشير ١٩ مقبرة وبالطبع لا يزال العديد من المقابر بالموقع لم يكشف بعد .

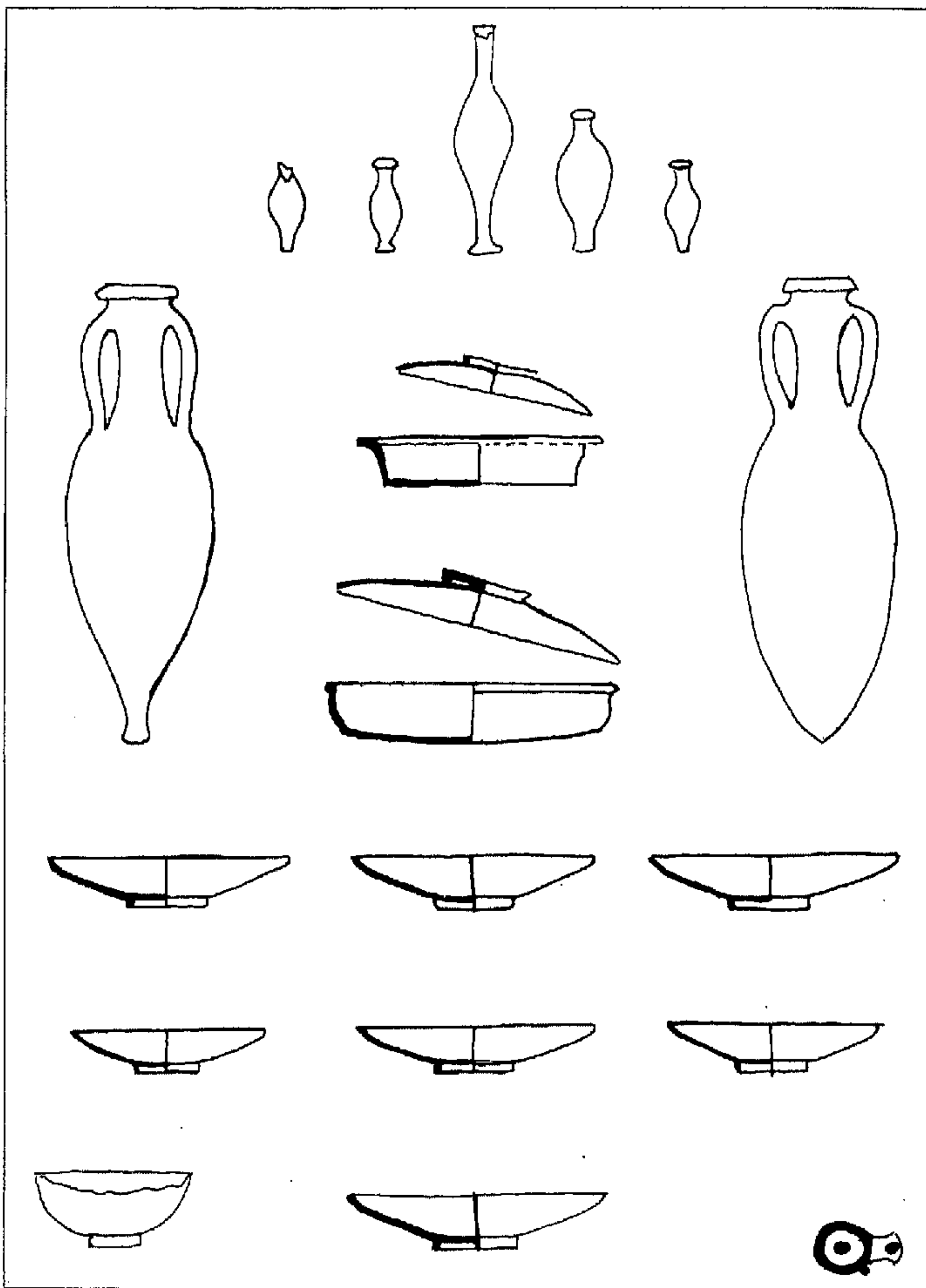
ولحسن الحظ أن مقابر باب بن غشير لم تتعرض للسلب في العصور القديمة اللاحقة ولذلك فهى تعطى صورة صادقة عن معتقدات السكان في تلك الفترة ، وكانت المقبرة محفورة أسفل سطح الأرض وخالية تماما من أى نوع من الزخرفة وتتكون من حفرة مستطيلة مكشوفة ، يتراوح طول ضلعها ما بين ١,٥ متر ، ٢ متر ، وعمقها ما بين ١ متر ، ١,٥ متر ، بها سلم يوصل من أعلى بسطح الأرض ومن أسفل بمدخل حجرة الدفن ، وهو مدخل صغير مستطيل يبلغ ارتفاعه حوالى ٧٥ سم وعرضه حوالى ٦٠ سم وكان يغلق بقطعة من الحجر بحجم المدخل تقريبا . وخلف المدخل توجد حجرة الدفن وهى حجرة صغيرة بيضوية أو مستطيلة الشكل يتراوح طولها ما بين ٢ متر ، ٢,٥ متر وعرضها حوالى ١,٥ متر وارتفاعها ١,٢٥ متر .

وكان الموتى يختلف عددهم من مقبرة إلى أخرى ما بين شخص واحد وعدة أشخاص

مقبرة فينيقية
عثر عليها ياب بن غشير



شكل (٢٥)



شكل (٢٦)

بعض اللقيات الأثرية عثر عليها في إحدى مقابر باب بن غشير الفينيقية .

وكانوا يوضعون على أرضية حجرة الدفن كالنائم على ظهره الواحد منهم بجوار الآخر في اتجاهات مختلفة غير محددة حسب شكل حجرة الدفن ، وكان الأثاث الجنائزى الخاص بكل ميت يوضع حوله وخاصة بالقرب من رأسه ويديه .

وكان هذا الأثاث مختلفاً ومتعددًا وهو يمثل الأدوات التي كان يستعملها الميت في حياته ، وكانت كمية هذا الأثاث تختلف حسب حالة الميت الاقتصادية والاجتماعية .

والجدير بالذكر أن بعض هذه الأدوات كانت تصنع محليا مثل بعض الصناعات الفخارية وبعضها كان يستورد مثل الصناعات الزجاجية والمصاييح وغيرها .

ومن أهم الأدوات التي كانت توضع مع الميت هي مجموعة من الأطباق الصحون المختلفة الأحجام من الفخار الأسود وهو الفخار الكمباني ^(١) الجميل المزخرف بزخارف نباتية في بعض الأحيان وكذلك مجموعة من القوارير الصغيرة من الفخار أو الزجاج هليينسية الصنع وكانت هذه القوارير تستعمل لحفظ الزيوت والعطور . كما وجدت بالمقابر بعض الحلى المصنوعة من البرنز والنحاس مثل الأساور — والعقود والمرايا الدائرية ، وبعض قطع العملة القرطاجنية والنوميديّة ولكنها كانت في حالة سيئة من الرطوبة .

كما عثر بالمقابر على بعض المصاييح اليونانية وعلى مجموعة من الجرار الصغيرة بعضها مزين بزخارف بارزة والبعض الآخر برسوم جميلة وبعضها عليها ختم الصانع وقد عثر أيضا في بعض المقابر على مجموعة من الجرار الكبيرة التي كانت تستعمل لحزن السوائل مثل الزيت والعصير .

هذه نظرة سريعة على مقابر باب بن غشير التي تعتبر من أهم المقابر وأقدمها في طرابلس وهي غنية بمقتنياتها وتعرض في متحف السراى الحمراء في القاعة (٨) مجموعة من هذه اللقيات الأثرية الجميلة التي تعد خير شاهد على عظمة هذه الصناعات والتي وجدت في

(١) الفخار الكمباني :

سمى كذلك نسبة لإقليم كمبانيا الساحلى على البحر التيرانى في إيطاليا حيث ازدهرت فيه صناعة هذا النوع من الفخار في حدود القرنين الثالث والثاني ق . م ويمتاز هذا النوع من الفخار بلونه الأسود وينقسم إلى ثلاثة أنواع مختلفة لكل نوع مميزاتة الخاصة من حيث اللون والبريق المعدلى والطين .

بعض مقابر المنطقة أما هذه المقابر فقد أزيلت تماما بسبب إقامة بعض المنشآت العمرانية ، وقد تم حفظ جميع محتويات المقابر بمخازن الآثار بطرابلس .

مقبرة مترا بقرقارش

تعتبر مقبرة مترا ^(١) من أقدم المكتشفات الأثرية في طرابلس ، زارها أول مرة سنة ١٩٠٣ م المهندس (وبر) (Weber) الذي كان يشرف على تحديد وتخطيط شوارع

(١) مترا (Mithras)

يعتبر مترا في نظر أتباعه الوسيط بين الآلهة والرجال ومنقذ الجنس البشري ، وقد جاءت عبادته إلى الغرب من إيران في وقت غير محدد بدقة وهو إله الضوء الذي يقارن دائما بالشمس ويسمى بالشمس التي لا تقهر (Sol Invictus) ويقال إن مترا طلع من الصخر وهو يمسك في يده شعلة وسكينا لأيساً قبعتة الفرجية معلنا عن ولادته ، حاملا المشاعل (Dadophorol) وهما (كاواتس) (Cautes) و (كاوتوباتس) (Cautopates) يقفان على الجانبين الأول يمسك مشعلا مرتفعا والثاني يمسك مشعلا منخفضا ، وهما يمثلان شروق وغروب الشمس ومسار الشمس في الربيع والشتاء ، وقد ولد مترا في الغابة وتغذى على ثمار التين ولبس أوراقه ثم قهر الشمس وبرز منها مرة ثانية بعلامة من وظائفه وهو تاج من الشعاع ومنذ ذلك الوقت أصبحت الشمس حليفة وصديقة لمترا . بعد ذلك هزم الثور العظيم المخلوق الأول على الأرض وحمله إلى كهفه ، ولكن الثور هرب مرة ثانية وحسب أوامر الشمس تابع مترا الثور ومعه كلبه وأخيرا استطاع أن يقبض ويقفز على ظهر الثور ويقتله بسكين وبهذه الطريقة أصبح مترا مؤسس الحياة على الأرض ، لأنه يعتقد أن العمود الفقري للثور نبتت منه سنبال القمح ومن دمه ظهر عصير العنب ، ومن بقايا جسمه نبتت جميع الأعشاب ، ومن أصل الثور ظهرت باقي الحيوانات ، والزوجان الأولان من البشر كانا في رعاية مترا ومنذ ذلك الوقت وحتى النهاية فإن قوى الشر تحاول باستمرار إفساد المخلوقات ، لكنها لا تستطيع ، فقد أرسل (أهريمان) (Ahriman) قحطا وجفافا كبيرا ، ولكن مترا بسهم من سهامه دفع المياه الغزيرة من الصخر وأنقذ الإنسان من كارثة . وقبل أن يلحق مترا بركب الآلهة شاركه في عشائه الأخير وجل كرم في طقوس مترا الدينية ثم نزل مركب الشمس الذي رفعه عبر المحيط إلى مكان الآلهة حيث واصل حمايته من هناك لأبصاره ومتعبدة . وقد انتشرت عبادة مترا في جميع أنحاء العالم الروماني ، في متراي (مكان عبادة مترا) كان يصور وهو يقوم بقتل الثور مع اثنين من حاملي المشاعل على الجانبين ومعه كلبه . ويبدو أن مترا كانت ترعاه الكهنة ، وكان يجتمع في المعبد المتعبدون للمشاركة في الأكل المقدس ، ولدخول عبادة مترا كان على المتعبد أن يمر ببعض أنواع الطقوس الدينية ، كما كان مطلوبا منه أن يعيش حياة نقية مطيعة وكانت توجد سبع درجات في طقوس عبادة مترا وكان المتعبدون يعتقدون أنهم بعد الوفاة سوف ترحل أرواحهم وتقابل مترا الذي يمنحهم البركة وحياة جديدة خالدة

طرابلس في العصر التركي الثاني ، وقد سجل في مذكراته وتخطيطاته الاولى مقبرة مترا . كما أشار إليها (كليرمونت كانو) (Clermont Canneau) في مجلة الدراسات الفرنسية . كما ذكرها أيضا دارسون إيطاليون آخرون منهم الإيطالي ماروكي (Marrucchi) ومونوس (Munos) وهذا أعتقد أن الرسوم مسيحية . وبعد احتلال الإيطاليين لطرابلس كانت المقبرة منسية ، وفي سنة ١٩١٤ م أعيد دراستها من جديد ونظفت حتى يمكن الدخول إليها ، وبسبب انفجار لغمين في الحجر المجاور لها ظهرت بعض معالمها ، وخلال سنتي ١٩١٨ — ١٩١٩ م ظهرت معالم المقبرة كلها للوجود . وقد أشرف البروفسور بيترور رومانيلي على إتمام اكتشاف المقبرة في شتاء عامي ١٩١٩ م — ١٩٢٠ م .

تقع مقبرة مترا في منطقة غوط الشعال على بعد حوالي ثمانية كيلومترات غرب مدينة طرابلس شمال طريق طرابلس قرجي الزاوية مباشرة ، وتعود المقبرة إلى القرن الرابع والخامس الميلادي . حفرت المقبرة في سطح هضبة من الحجر الرملي الجيري ، لها مدخل في الجانب الجنوبي عبارة عن باب غير مرتفع يبلغ ارتفاعه ١٢٠ سم يوصل إلى ممر منحدر قليلا إلى الداخل يبلغ طوله أربعة أمتار وعرضه متر واحد يوصل إلى حجرة الدفن التي كانت في أول الأمر فوهة محجرة وهي عبارة عن حفرة مستطيلة مكشوفة باستثناء الجزء الشرقي الذي ترك على شكل سقف . أرضية المقبرة من الرمل والجدران مستوية عمودية قطعت في الصخر الطبيعي . يبلغ طول المقبرة في الشرق إلى الغرب ما بين ٨,١٥ متر و ٨,١٠ متر وعرضها ما بين ٥,٢٠ متر و ٥,٢٥ متر وعمقها حوالي ٥ أمتار . توجد في الجدار الشمالي من الغرفة في مواجهة المدخل حنية بها قبر ، وتوجد في نفس الجدار شرق القبر الاول حنية أخرى بها قبر آخر ، وفي مواجهة القبر الثاني في الجدار الجنوبي توجد حنية بها قبران لم يستعملوا بعد .

القبر الأول في داخل الحنية على شكل ثابت مرتفع وهو خاص ب (آليا اريسوس) (Aelia Arisuth) وهو أهم مدفن بالمقبرة ، فنجد حوله الكثير من الرسوم الجميلة الملونة ، وهي ترمز إلى بعض العبادات والمعتقدات القديمة في ذلك العصر . وقد ترك الجزء الأسفل من الحنية على شكل ثابت يوضع الميت بداخله وأغلق الثابت بطبقة من الجير والملاط عليها بعض الرسوم الجميلة . وكان الميت يوضع شبه نائم على ظهره رأسه ناحية الغرب ورجلاه ناحية الشرق ، وقد كتب اسم صاحبة المقبرة في عبارة جنائزية بدائرة كبيرة من الأغصان والورود يحملها ملكان مجنحان طائران ويمسك كل واحد منهما بغصن ، وقد وضعت هذه الدائرة على الجدار فوق القبر .



شکل (۲۷)
قبر (اليا اريثوس) بمقبرة مترا بمنطقة قرقارش

النص الذى فوق قبر آليا أريستوس :

تكريما لآلهة العالم السفلى D. M. S.

هذا القبر لآليا أريستوس Aelia Arisuth

التي عاشت Vixit. Annos

٦٠ عاما Sexaginta

تقريبا Pius Minus

وكتب فيها النص السابق الذى يعنى أن صاحبة القبر تسمى آليا أريستوس وتبلغ من العمر ستين عاما ، وعلى جانبي الحنية فى كل جانب صورة رجل يمسك فى يده شعلة كبيرة مشتعلة ولايس رداء أبيض به شريط مزخرف باللون الأحمر وهو رداء (دلماسيا) وفى مقدمة التابوت من الأمام فى أسفل الجدار منظر يمثل سباقاً للعربات فى حلبة السباق ، وهى عند الالتفاف حول الميدان فنرى أربع عربات تتميز كل واحدة منها بلون خاص فنجد العربة الزرقاء فى المقدمة أما العربة البيضاء فنراها قد أصيبت أثناء السباق وهى مقلوبة بينما نجد العربة الخضراء يشد سائقها لجام خيولها ليكبح جماحها حتى لا تصطدم بالعربة البيضاء أما العربة الحمراء فتوجد فى مؤخرة السباق ، ونرى بين العربتين الحمراء والخضراء رجلاً يحمل كأس الانتصار لتقديمه للفائز ، وغالباً كانت العربة الزرقاء تمثل عربة آليا أريستوس التى كسبت سباق الحياة ، كما نجد فى أحد جانبي حلقة السباق قاعدة عليها ثلاثة مشاعل كانت تشعل واحدة منها عند نهاية كل دورة من دورات السباق حتى يتم إشعالها بنهاية أشواط السباق .

وفى وسط الكوة بالجدار المواجه فوق التابوت توجد صورة جميلة دقيقة لآليا أريستوس وضعت فى إطار دائرى جميل مكون من أغصان الأشجار والزهور ويصور آليا تلبس رداء يغطى جسمها عليه شال أبيض تحته توجد عباءة والرأس مغطى بغطاء أبيض

يشبه العمامة وعلى جانبي الإطار توجد فتاتان من أتباع آليا تحملان الإطار وكل فتاة منها في جانب ، وعلى جانبي الكوة يوجد في كل جانب ملاك صغير عار متكئ على مشعل مقلوب رمزاً لنهاية الحياة .

أما على سقف الكوة فتوجد صورة طاووس ناشرا جناحيه وبعض أشجار الكروم ، وقد وجدت هذه اللوحة مكسورة .

وعند اكتشاف المقبرة في أوائل القرن العشرين كان غطاء الثابوت سليما وكان يوجد عليه صورة لبوة كان مكتوبا عليها العبارة اللاتينية التالية (Que Lea Jacet) أى بمعنى هنا ترقد لبوة . والواقع أننا نعرف أن كلمة أسد أو لبوة تعتبر إحدى الدرجات السبع السرية لطقوس (مترا) (Mithra) الاله الفارس الذى انتشرت عبادته بين الجنود الرومان . وقبل اكتشاف مقبرة قرقارش كان من المعتقد أن عبادة (مترا) مقصورة على الرجال فقط ولكن وصف آليا أريسوس بلقب لبوة يعنى أنها كانت ممن تلقوا أسرار هذه العبادة ، وفي ناحية الغرب عند رأس آليا أريستوس توجد بقايا حوض صغير من الجبس مثقوب كانت تصب فيه القرابين السائلة مثل العصير إلى الميت .

القبر الثانى يوجد فى الجدار الشمالى ناحية الشرق وهو يشبه المدفن الأول غير أنه أقل دقة من سابقه وهو فى حالة سيئة خاص بزواج آليا أريستوس المدعو اليوس يوراثانوس (Aelios Iurathanos) ويعتقد أن اليوس ربما كان ليبياً نوميدياً ويبدو من النص المكتوب فوق قبره أنه كان شاباً عندما ماتت زوجته التى كانت تبلغ من العمر ستين سنة بينما كان عمر الزوج عند وفاته خمسا وأربعين سنة . والنص المكتوب على القبر فى حالة سيئة .

... S

Aelius Ma ... Iurathani

Bix An . O Agin Quia

Plus M.N

Dis Manibus Sacrum

Aelios Magnus Oximus Iurathan

Filius Bixit Annos Quiquo Quadr Aginta Quia

Que Plus Minus

والواقع أن زخرفة هذا القبر أقل جودة وإتقاناً من القبر الأول ، وربما عمل بطريقة سريعة وبدون اهتمام حيث نلاحظ أن نحت القبر أيضا غير متقن . ويوجد على جدار الثابوت رسم أليوس مستلقى بين أشجار الكروم والأزهار وعلى جانبي الثابوت يوجد في كل جانب ملاك متكئ على مشعل مقلوب وهو رمز لنهاية الحياة وسقف الحنية مصور عليه كرمه عنب بين أغصانها بعض الطيور وسلة مملوءة بالفاكهة تتدلى منها أغصان مشدودة بها بعض الزهور . وعند اكتشاف المقبرة كان غطاء الثابوت موجودا عند رأس الميت ناحية الغرب وكان يوجد حوض مثقوب لصب القرايين السائلة . ويشير علماء الآثار أنه كان يوجد على غطاء الثابوت صورة أسد كتبت عليه الجملة التالية (Qui Leo Jacet) ومعناها هنا يرقد أسد وهي إحدى درجات عبادة مترا .

والقبران الثالث والرابع يوجدان في الجدار الجنوبي من المقبرة في أقصى الشرق ، وهما عبارة عن كوة في داخل الجدار لها سقف على شكل قوسين ، والمقبرة خالية تماما من الزخارف وداخل الكوة يوجد مكانان على شكل ثابوتين الواحد منهما بجوار الآخر أحدهما للخارج والآخر للداخل وقد حفرا لوضع الميتين ولكنها لم يستعملتا وربما كانا خاصين لدفن أبناء آليا وأليوس .

هذه لمحة سريعة عن مقبرة مترا التي تعتبر من أجمل المقابر التي عثر عليها في طرابلس . وفي ختام ذلك يمكن أن نقول بعد دراسة الزخارف الموجودة بالمقبرة أنها تشتمل على بعض العناصر والرموز المسيحية والوثنية . ولا نستغرب هذا التداخل الفني والعقائدي في مثل هذه الفترة حيث كانت المسيحية قد قطعت شوطا كبيرا في الانتشار في العالم الروماني ، كما كانت الوثنية لا تزال آثارها باقية . كما أن التقارب كان كبيرا بين عبادة مترا الفارسية والمسيحية ، ولذلك فإننا لا نستطيع إعطاء رأى قاطع محدد عن تاريخ مقبرة مترا ونعتقد أنها قد تعود إلى القرنين الرابع والخامس الميلاديين ، وربما تكون مقبرة وثنية عائلية لعائلة تعبد الآله مترا أو مقبرة عائلية مسيحية .

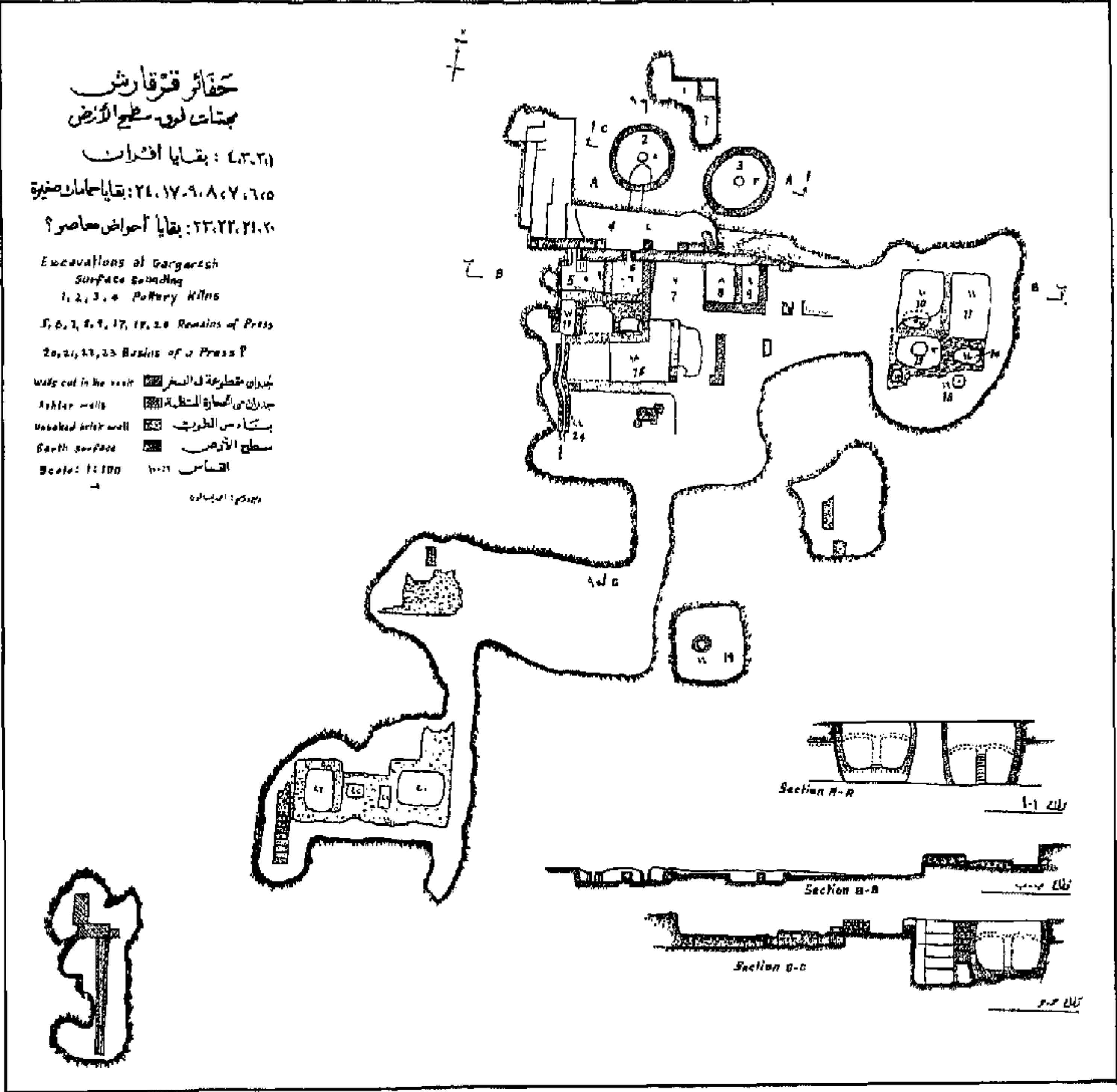
منطقة حفائر قرقارش الأثرية : —

تعتبر منطقة حفائر قرقارش من أهم المعالم الأثرية بطرابلس لأنها تغطي فترة تاريخية طويلة تصل إلى حوالي خمسمائة سنة تبدأ من القرن الأول الميلادي وتنتهى فى القرن الخامس الميلادى ، كما أن المنطقة مرت بظروف مختلفة ومظاهر متعددة ومتباينة ، كما سوف نوضح ذلك فيما بعد .

وتقع منطقة حفائر قرقارش غرب مدينة طرابلس فى حى غوط الشعال جنوب الطريق الساحلى مباشرة عند الكيلومتر الرابع والنصف ، وهى عبارة عن ربوة صخرية غير محددة ، لأن الرمال مازالت تغطي المنطقة ، كما أن الحفائر بها لم تنته بعد ، وقد عثر على منطقة الحفائر بقرقارش بمحض الصدفة فى ١٩٦٥/٦/٢٤ م ، وذلك عندما كان أحد المواطنين يحاول حفر بئر خاص بمنزله حيث أدى حفر هذا البئر إلى العثور على سراديب أرضية كبيرة متعددة الاتجاهات وسرعان ما توالى الاكتشافات المختلفة بهذه المنطقة التى تعود إلى عصور تاريخية متعددة .

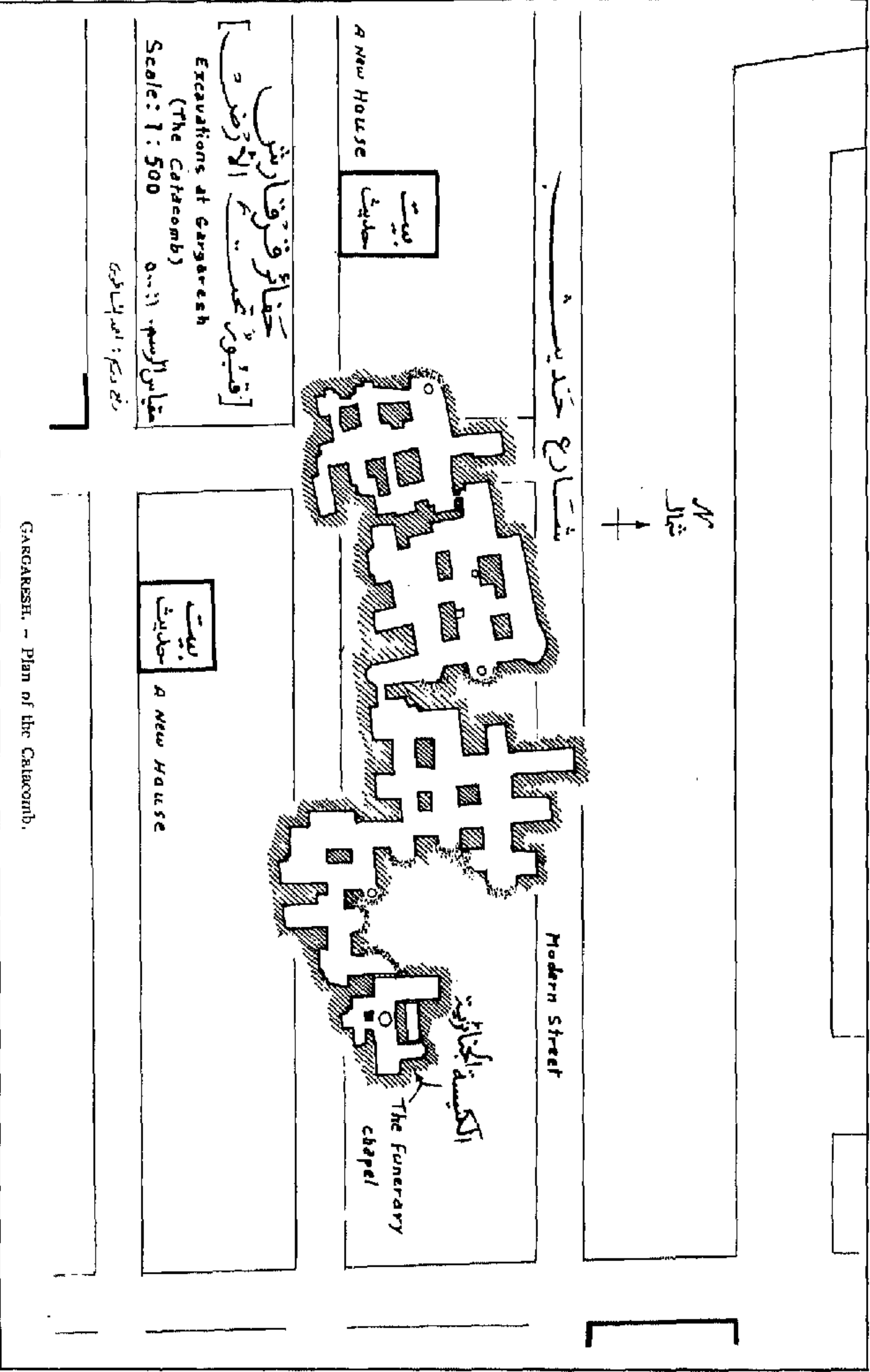
وتنقسم الفترات التاريخية التى مرت بها منطقة حفائر قرقارش الأثرية إلى ثلاث فترات :

الفترة الأولى : تعود إلى القرن الأول والثانى الميلادى ، وتنتمى إلى هذه الفترة المقبرة التى اكتشفت فى جنوب الحفائر ، وكانت عبارة عن مقبرة جماعية لبعض العائلات البونيقية والرومانية ، وقد عثر على مقبرتين ترجعان إلى هذه الفترة ، وكانت المقبرة تحفر تحت سطح الأرض وهى عبارة عن حجرة صغيرة تتصل بأعلى سطح الأرض بواسطة سلم وكان الميت يوضع فى الحجرة التى تغلق بعد ذلك بحجر كبير ، وقد عثر فى هاتين المقبرتين على طريقتين للدفن الأولى متقدمة حيث كان يوضع الميت نائماً على ظهره ، والثانية متأخرة أو لاحقة للطريقة الأولى حيث كان يحرق الميت ثم تحفظ بقاياه فى أوان خاصة فيما يعرف بالأورن (Urn) وهى مصنوعة من الفخار أو الزجاج أو الرصاص ، ولكن يبدو أن هاتين المقبرتين سرقتا فى العصور اللاحقة ، فقد وجدت إحداهما مكسورة والأخرى فى حالة غير طبيعية كما عثر أيضاً على بعض الأواني الخاصة لحفظ بقايا الموتى مملوءة بالعظام المحروقة مدفونة تحت الأرض فى حفر صغيرة خصصت لوضع هذه الأواني تعود إلى هذه الفترة ، وترجع طريقة الدفن الأولى بالمنطقة إلى القرن الأول وأوائل القرن الثانى الميلادى ، أما طريقة الدفن الثانية فتعود إلى القرن الثانى والثالث الميلاديين .

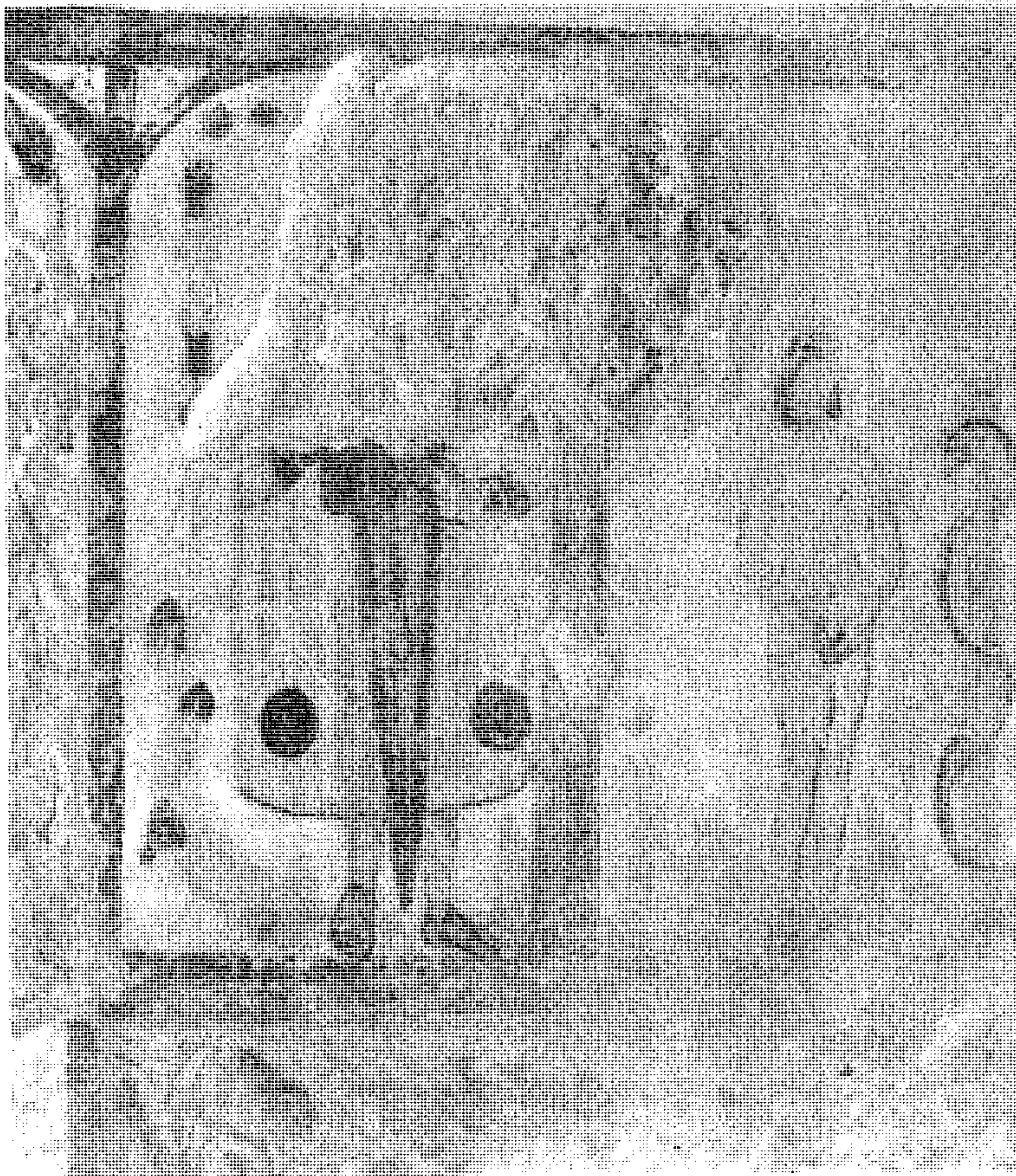


GARGAREH - Plan of the excavations at 1969.

شكل (٢٨)



شكل (٢٩)



شکل (۳۰)

رسم جدارى ملون بسرائيب منطقة حفائر قرقارش تصور خروج سيدنا آدم وسيدتنا حواء من الجنة .

الفترة الثانية : تعود إلى القرن الثالث الميلادي ويرجع إلى هذه الفترة السرايب المكتشفة بالمنطقة وبعض الجدران القديمة .

وتعتبر السرايب من أهم الاكتشافات الأثرية في منطقة قرقارش وهي عبارة عن دهاليز ضخمة حفرت أسفل سطح الأرض يبلغ طول الجزء المكتشف منها حوالي ٢٠٠ متر ، ويبلغ عرض السرايب حوالي ١٠ أمتار تقريباً تستند أسقفها على أعمدة مستطيلة ضخمة تركت عند قطع الأحجار ، والسرايب تمتد من الشرق إلى الغرب وعلى جانبها بعض الدهاليز الفرعية والحجرات الجانبية ، وقد عثر في سرايب قرقارش على مدخل كبير يقع في الشمال الغربي ، وهو عبارة عن حفرة كبيرة مستطيلة بها سلم ينزل ملتصقا بالجدار الشمالي ثم الجدار الشرقي حتى يصل إلى أسفل وهو مدخل كبير ويجري العمل على ترميمه . والغرض من هذه السرايب غير معروف لدينا بصفة مؤكدة ويحتمل أنها كانت تستعمل كمحاجر حيث لا تزال بقايا بعض الأحجار التي لم ينته من قطعها داخل السرايب ، ولكن يبدو أن هذا ليس الغرض الأساسي من حفرها ، وربما كان يزعم استعمالها كمقابر أرضية من نوع الكاتاكومب (Catacomb) ، وربما استعملت كمخازن أو منازل ، هذا وقد عثر على كثير من هذه السرايب في طرابلس ، بعضها خالية تماماً كالسرايب التي اكتشفت بجي الأندلس في قرقارش ، وسرايب أخرى اكتشفت بتاجوراء ، غير أنه عثر على بعض السرايب التي كانت تستعمل كمقابر من نوع (كاتاكومب) مثل سرايب صبراتة وترهونة وسرت .

أما بالنسبة لمعصرة زيت الزيتون التي عثر عليها بقرقارش فهي واضحة المعالم لأن الحفائر بها لم تتم بعد ، وكذلك لوجود بعض المباني التي ترجع إلى عصور متأخرة في نفس المكان بجوار المعصرة وهي تشتمل على بعض الأحواض والحجرات وأنايب الزيت .

الفترة الثالثة تعود إلى القرن الرابع الخامس الميلادي وهي الفترة الأخيرة للمنطقة وتشتمل على مجموعة من المباني أهمها فرنان للفخار وبعض أفران من الجير وبعض المقابر ومقابر أخرى عثر عليها داخل السرايب كما عثر على كنسية في أقصى الشرق من هذه السرايب . ونخص بالذكر هنا فرن الفخار اللذين في شمال معصرة زيت الزيتون مباشرة وهما في حالة جيدة نسبياً ، والفرن على شكل حفرة دائرية يبلغ قطرها حوالي مترين وارتفاعها حوالي ثلاثة أمتار في وسطه عمود دائري يصل إلى أعلى السقف ، والجدران مغطاة بقوالب الطين التي شكلت في بعض الأحيان بشكل رفوف كانت توضع وتنظم عليها الأواني والأطباق الفخارية ثم بعد ذلك تحرق في بناء أسفل الفرن .

أما بالنسبة لأفران الجير فهي تشبه الأفران السابقة بنيت كلها داخل السرايب خاصة عند المدخل .

وبالنسبة للمقابر المتأخرة فقد عثر على ثلاث منها متشابهة ومكسورة في منتصف المنطقة تقريبا . والقبر عبارة عن حفرة بحجم الميت تقريبا أسفل سطح الأرض كان يوضع فيه الميت ويغطى بالتراب وتبنى فوق الحفرة مصطبة بحجمها تقريبا ، وكانت إحدى هذه المصاطب عليها رسوم نباتية .

كما عثر في السرايب بأحد الدهاليز على حجرة حوت فيما بعد إلى مقبرة جنازية تحتوى على قبرين متشابهين ، وكانت القبور عبارة عن حفرة بحجم الميت تقريبا يبلغ عمقها ١ متر . وقد عثر في أحد القبرين على تابوت من الرصاص بداخله هيكل عظمى بثلاث قطع من الآجر الكبيرة الحجم ويجوار رجل الميت عثر على طبق من الفخار وحذاء مصنوع من الجلد والفلين .

وأهم اكتشافات منطقة قرقارش الأثرية هي الكنيسة المسيحية التي ترجع إلى عهد الاضطهاد المسيحي من قبل الوثنيين ، ولذلك كان المسيحيون يلجأون إلى السرايب والمقابر والأماكن البعيدة للقيام بشعائهم الدينية . وهي كنيسة صغيرة تشغل قطعة من الجزء الشرقى للسرايب يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب ثمانية أمتار وعرضها حوالي ثلاثة أمتار ، وقد أضيفت بعض التعديلات على هذا الجزء من السرداب لكي يتناسب مع وضع الكنيسة . فقد أغلقت الفتحة التي بين الكنيسة والسرداب وبني محراب صغير في الجانب الجنوبي ومصطبة في الجانب الشرقى . وكانت جدران الكنيسة مغطاة برسوم جميلة مستوحاة من القصص الدينية من العهد القديم والعهد الجديد ، وإن هذه الرسوم الجدارية قد تآكلت بفعل عوامل التعرية وبقيت منها بعض الرسومات الموجودة على الجدار الغربى ، فنجد في الشمال منظرا يمثل هجرة السيد المسيح وأمه العذراء إلى مصر تحمل ابنا ، وتركب على ظهر حمار وخلفها يوجد أربعة رجال وفي الجنوب توجد صورة أخرى تمثل خروج سيدنا آدم وحواء من الجنة وقد صورت الشجرة المحرمة ملتفاً حولها ثعبان كبير وعلى أحد جانبي الشجرة يوجد سيدنا آدم وعلى الجانب الآخر توجد سيدتنا حواء وقد صورا عاريين ، كل منهما يغطي عورته بيديه ، كما يوجد بعد ذلك كاهن يمسك سيفاً كبيراً غير أن الصورة في حالة سيئة ، وفي الجدار الشرقى جهة الجنوب توجد صورة كاهن آخر مواجه للكاهن المرسوم على الجدار الغربى . والجدير بالملاحظة أنه توجد بعض الكتابات الدينية التي لم تتم دراستها بعد . هذه نظرة سريعة لأهم الاكتشافات الأثرية والمظاهر الحضارية التي مرت بها منطقة حفائر قرقارش .

منطقة حفائر جنزور الأثرية

تقع منطقة حفائر جنزور غربى مدينة طرابلس بجنوب الطريق الساحلى بحوالى ٤٠٠ متر عند الكيلومتر ١٣ — وتعتبر منطقة حفائر جنزور الأثرية من أهم المناطق الجنائزية فى طرابلس لأنها تغطى حقبة تاريخية تصل إلى حوالى أربعائة سنة تقريبا تبدأ من القرن الأول الميلادى حتى القرن الرابع الميلادى وتشتمل على ثلاث حضارات عظيمة لعبت دورا كبيرا فى تاريخ البشرية عامة وتاريخ طرابلس خاصة ، وهذه الحضارات هى الحضارة البونيقية ثم الحضارة الرومانية وأخيرا الحضارة الرومانية المتأخرة .

بدأت الحفائر فى هذه المنطقة سنة ١٩٥٨ م عندما أدت الصدفة إلى اكتشاف المقبرة رقم (١) وهى من أهم المقابر المكتشفة ، وأسفرت الحفائر بعد ذلك عن اكتشاف خمس مقابر متشابهة ثم توقفت الحفائر لأن المقابر كانت خالية بسبب سرقتها فى العصور التالية .

وفى صيف ١٩٦٩ م استؤنفت الحفائر مرة ثانية بالمنطقة وأدت إلى اكتشاف خمس عشرة مقبرة أخرى وتوقفت الحفائر مرة أخرى للدراسة ما تم اكتشافه من قبل وبناء متحف صغير لعرض اللقيات الأثرية الخاصة بالمنطقة .

والمنطقة عبارة عن هضبة صخرية منخفضة لم تحدد مساحتها بالضبط لأن الحفائر لا تزال فى بدايتها ، ولكن كل الدلائل تشير إلى أهمية المنطقة من الناحية الأثرية والتاريخية ، حيث عثر فى مساحة صغيرة وفى وقت قصير على مجموعة كبيرة من المقابر .

والواقع أن منطقة حفائر جنزور تعود إلى عصور تاريخية متعددة وتخضع لمعتقدات دينية جنائزية متباينة وظروف اقتصادية واجتماعية متقلبة ، ولذلك كانت المقابر بالمنطقة مختلفة من حيث الشكل والحجم ، وتكاد تكون متشابهة فى كل عصر ، ويمكن تقسيم هذه المقابر إلى الأنواع التالية : —

- ١ — مقابر بونيقية .
- ٢ — مقابر بونيقية رومانية .
- ٣ — مقابر رومانية متأخرة .

المقابر البونيقية : —

هذا النوع من المقابر يعتبر من المقابر المهمة المكتشفة بطرابلس ، وتعود إلى الفترة من نهاية القرن الأول ق . م حتى القرن الثاني الميلادي . وهي مقابر عائلية حفرت كلها تحت الأرض ، ووجد معظمها خاليا من الرسومات الجدارية الملونة وكانت كل مقبرة تتكون من حفرة مكشوفة رباعية الشكل يتراوح طول كل ضلع من أضلاعها . ما بين مترين ومتر ونصف ، ويتراوح عمقها ما بين مترين ونصف ومترين ، وعلى أحد جدران الحفرة يوجد سلم يتكون من عدة درجات كبيرة يصل ما بين سطح الأرض وأرضية الحفرة . حيث توجد المداخل الصغيرة التي توصل إلى حجرات الدفن التي يختلف عددها من مقبرة إلى أخرى ما بين حجرة واحدة وثلاث حجرات ، وربما أعدت وحفرت في فترات متلاحقة وهي حجرات رباعية الشكل حفرت في الصخر في جدران الفناء ، لها مدخل صغير يصل ارتفاعه حوال ٨٠ سم وعرضه حوالى ٧٠ سم يغلق بحجر كبير ، يوصل المدخل إلى حجرة الدفن الرباعية الشكل التي يتراوح طول ضلعها ما بين مترين ومتر ونصف . حجرة الدفن أرضيتها أكثر انخفاضاً من أرضية الفناء سقفها مستو وفي بعض الأحيان محدب ، يصل ارتفاع السقف حوالى متر وربع وجدران الحجرة في بعض الأحيان بها مشكاوات Niches كان يوضع فيها بعض أواني حفظ بقايا الموتى بعد حرقها . وأرضية الحجرة بها حفرة مستطيلة تمتد من أمام المدخل حتى ثلثي الحجرة تقريبا . وهذه الحفرة توضع بها بعض الأواني والأطباق . كما كانت تخصص لتجهيز ووضع الميت في المقبرة . وفي المقابر المتقدمة من هذا النوع لا توجد حفرة في الأرضية ولكن في بعض الأحيان كان يترك على الجانبين ما يشبه الثابت لوضع الميت بداخله مثل المقبرة رقم (١) السالفة الذكر . وكان الميت يوضع على الأرض مباشرة في اتجاهات مختلفة حول الجدران . أحيانا نائما على ظهره ويديه أسفل بطنه أو على صدره وحوله الأثاث الجنائزى الخاص به حول رأسه وعند قدميه . وفي بعض الأحيان نجد قطعة من العملة في يد الميت . ويختلف عدد الموتى من حجرة إلى أخرى ما بين شخص واحد وستة أشخاص وذلك حسب مساحة حجرة الدفن والمدة التي استعملت فيها المقبرة . وكان الأثاث الجنائزى يتكون من أدوات مختلفة كان يستعملها الميت في حياته اليومية مثل الجرار الكبيرة التي كانت تستعمل لحزن السوائل كالزيت والعصير ، وبعض الأواني المنزلية ، وبعض المصاييح والمباخر المتنوعة وبعض أدوات الزينة مثل المراود والدبابيس والعقود والأساور والخواتم ، وكان بعض من هذه المواد يصنع من الفخار

والزجاج . والبعض منها كان يصنع من البرونز ، ووجدت بعض الأدوات مصنوعة من العاج ومن بعض الأصدا ف البحرية .

كما عثر داخل هذه المقابر على أواني حفظ بقايا الموتى بعد حرقها ، بعض منها مصنوع من الفخار ، والبعض الآخر مصنوع من الزجاج . وتعود هذه الأواني إلى العصر الروماني القرن الأول - الثاني الميلادي حيث يدل على أن هذه المقابر استعملت حتى العصر الروماني ، ووجدت بعض الصناعات المستوردة مثل الفخار (الأريتيني) (Arretine) والفخار (التيراسجلاتا) (Terrasigillata) كما وجدت بعض الأدوات كانت تصنع محليا مثل بعض الأواني الفخارية .

المقابر البونيقية الرومانية : —

هذا النوع من المقابر استعملت فيه طريقة الدفن بحرق جثث الموتى وحفظ بقاياها في أوان خاصة وهي ماتعرف (Urns) وكانت هذه الأواني تصنع إما من الفخار أو الزجاج أو من الرخام أو الرصاص ، وهذه الطريقة تعود إلى فترة لا حقة لمدا فن الفترة السابقة في حوالي القرن الثاني الميلادي بعد أن تأثر سكان مدن طرابلس الفنيقيون بالمعتقدات الدينية والجنائزية الرومانية ، وقد عثر على كثير من الأواني الخاصة بحفظ بقايا الموتى في هذا النوع ، من المقابر كما عثر على مجموعة من الجرار مملوءة ببقايا عظام الموتى المحروقة مدفونة في الطبقة الرملية في أماكن متفرقة خارج المقابر البونيقية .

والواقع أننا لا نستطيع أن نميز بدقة بداية استعمال هذه المقابر للطريقة الرومانية وهي طريقة حرق الموتى والطريقة البونيقية حيث كان الميت يدفن بالطريقة المعتادة والتي تختلف من مقبرة إلى أخرى بالمقابر البونيقية .

المقابر الرومانية المتأخرة : —

تمثل هذه المقابر الفترة الأخيرة لطريقة الدفن بالمنطقة وتعود إلى أواخر القرن الثالث والرابع الميلاديين بعد انتشار المسيحية بين سكان طرابلس . وبعد أن أصبحت المسيحية الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية . وقد حفرت هذه المقابر في الطبقة الصخرية وفي بعض الأحيان استعملت فوهات المقابر البونيقية كمقابر في العصر المتأخر . وكان القبر عبارة عن

حفرة مستطيلة أكبر من حجم الميت قليلا يتراوح عمقها ما بين ٦٠ ، ٨٠ سم يوضع الميت بأسفلها نائما على ظهره ويداه على صدره في اتجاهات مختلفة ، ويوجد القبر خاليا تماما من اللقيات الأثرية وكان يغطى بالرمال ولم يعثر على أى بناء فوق سطح الأرض في هذا النوع من المقابر .

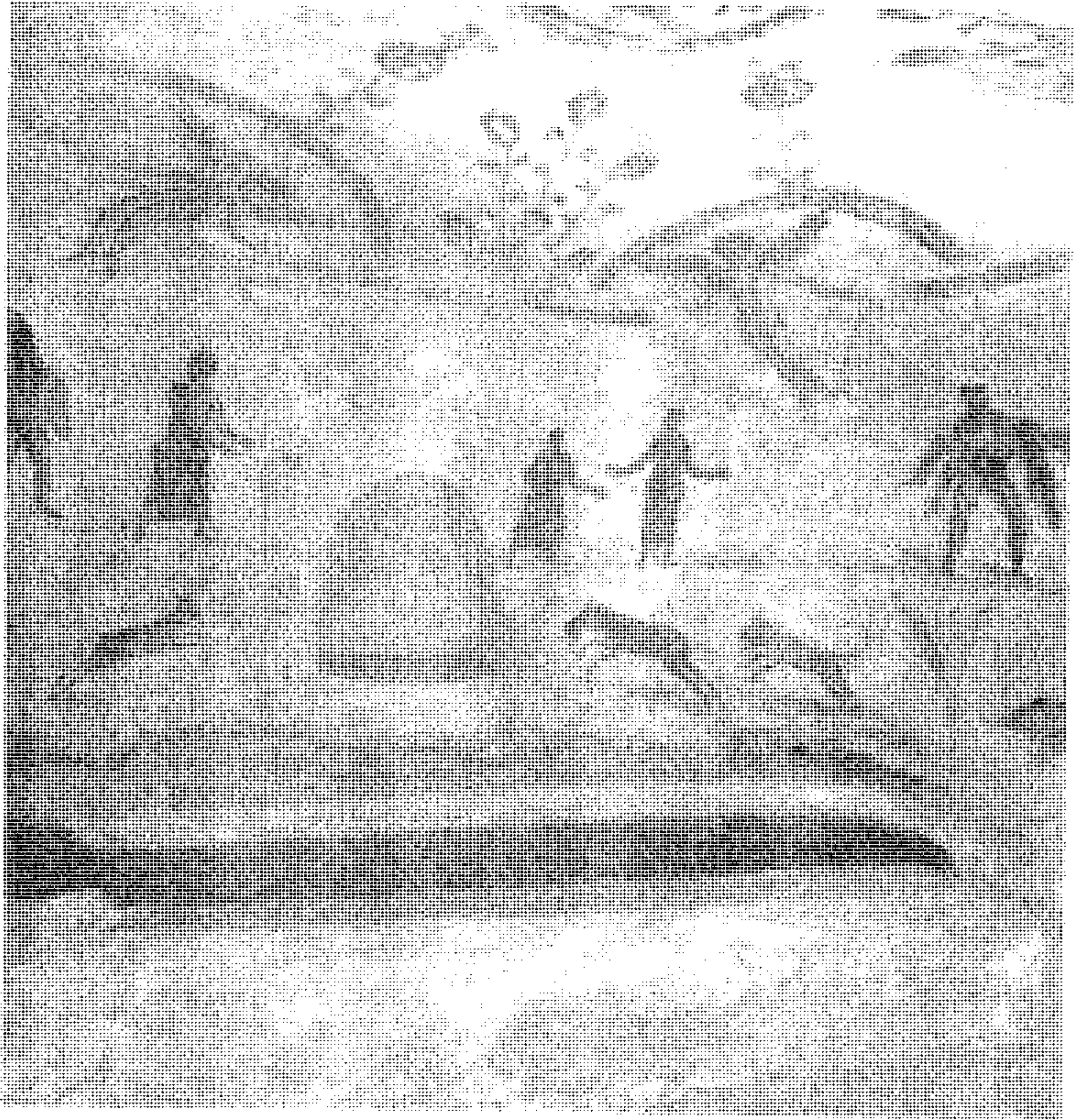
هذه لمحة بسيطة عن أهم أنواع المقابر المكتشفة بحفائر جتزور وطريقة الدفن بها ، ويبدو واضحا أنها من أهم المناطق الأثرية ، وهى تعطينا فكرة عن أنواع المقابر المستعملة بطرابلس في تلك الفترة ، كما أنها تعكس لنا بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والجنائزية التى كانت تسود العالم الرومانى عامة وإقليم طرابلس خاصة .

من هذا يبدو أن منطقة حفائر جتزور كانت مقبرة عامة لبعض العائلات البونيقية في أواخر القرن الأول ق . م وحتى القرن الثانى الميلادى ، أى منذ عصر الامبراطور أغسطس حتى العصر الانطونينى تقريبا ، ثم بعد ذلك تغيرت طريقة الدفن تغيرا قد يكون كليا أو جزئيا بعد أن تأثر السكان بالمعتقدات الرومانية واستعملت طريقة حرق الموتى وحفظ بقاياهم في أوان خاصة ، وتعود هذه الفترة إلى القرن الثانى والثالث الميلادى .

وبعد موت الامبراطور (الأكسندر سيوروس) سنة ٢٣٥ م آخر أباطرة الأسرة السويرية سادت البلاد فترة من الفوضى والاضطرابات نتيجة للصراع الامبراطورى وهجمات القبائل البربرية على مدن طرابلس والكوارث الطبيعية مثل الزلازل وتحرك الرمال ، بالإضافة إلى الصراع الدينى بين الوثنيين والمسيحيين أدت هذه الظروف إلى حالة من التدهور والانحطاط فى طرابلس . ولذلك تعرضت المنطقة للسلب والنهب ، ويظهر أنه فى هذه الفترة سرق الجزء الأكبر من الأثاث الجنائزى من بعض المقابر القديمة .

وفى القرن الرابع الميلاد بعد انتشار المسيحية ظهرت طريقة جديدة للدفن تتمثل فى المقابر الرومانية المتأخرة .

والواقع أننا لا نستطيع أن نحدد بصورة دقيقة بداية ونهاية كل طريقة للدفن بمقابر جتزور ، لأن الحضارات الإنسانية والعادات والتقاليد الحضارية لا تزول بسرعة وفجأة ولكنها تزول تدريجيا وتتداخل وتتأثر ببعضها البعض .



شكل (٣١)

المقبر رقم (١) بحفائر جتوزور .

بعض الرسومات الجدارية تمثل الاله هرقل في أحد أعماله الاثني عشر عند إحضاره للكلب (كيريروس) وترى أمامه
الآلهة أثينا والآلهة هرمس اللذين ساعدها في إنجاز عمله .

المقبرة رقم (١) بحفائر جنزور : —

تعتبر هذه المقبرة من أهم المقابر المكتشفة بمنطقة جنزور حتى الآن ، وهى تشبه المقابر البونيقية الأخرى غير أنها تمتاز برسوماتها الجدارية الملونة التى تصور بعض الأساطير اليونانية القديمة ، ويبلغ طول هذه المقبرة ٢١٠ سم وعرضها ٢٠٥ سم لها مدخل صغير فى الجدار الغربى يوصل إلى حجرة الدفن المحفورة أسفل سطح الأرض ، وعلى جانبي الحجرة الشمالى والجنوبى يوجد تابوتان لدفن الميت ، كما توجد بكل من الجدار الشمالى والجدار الجنوبى مشكاة عثر فى كل منهما على آنية من الفخار بها بقايا بعض جثث الموتى المحروقة ويمكن أن نقسم الرسومات الموجودة بجدران المقبرة إلى جزئين ، الجزء السفلى والجزء العلوى :

الجدار الجنوبى :

الجزء السفلى : نلاحظ به بعض الرسومات الجدارية لحيوانات متوحشة تطارد بعض الحيوانات الأخرى مثل أسد يطارد حمارا ، وذئب يصطاد غزالا ، وكلب يجرى وراء وعمل ، ونلاحظ رسومات أخرى مثل رسم ثور وبطة وبعض الأشجار .

الجزء العلوى : نلاحظ به رسم جدارى هرقل فى أحد أعماله وهى تصور لنا البطل الأسطورى هرقل عند نزوله إلى العالم السفلى لإحضار الكلب (كيريس) (Cerberus) حيث أمره آريثوس (Eurystheus) ملك (ماسينا) ليحضر الكلب (كيريس) إلى ماسينا وهو العمل الثانى عشر من أعمال هرقل وقد سمح له (هاديس) (Hades) إله العالم السفلى بأن يفعل ذلك العمل بدون استعمال أسلحة وقد قبض هرقل على الكلب (كيريس) حارس مدخل العالم السفلى ، وذلك بأن مسك رقبة الكلب حتى استسلم وحمله إلى ماسينا ، ولما رآه (آريثوس) خاف ، ولذلك أرجع هرقل الكلب إلى (هاديس) مرة ثانية .

(١) كيريس :

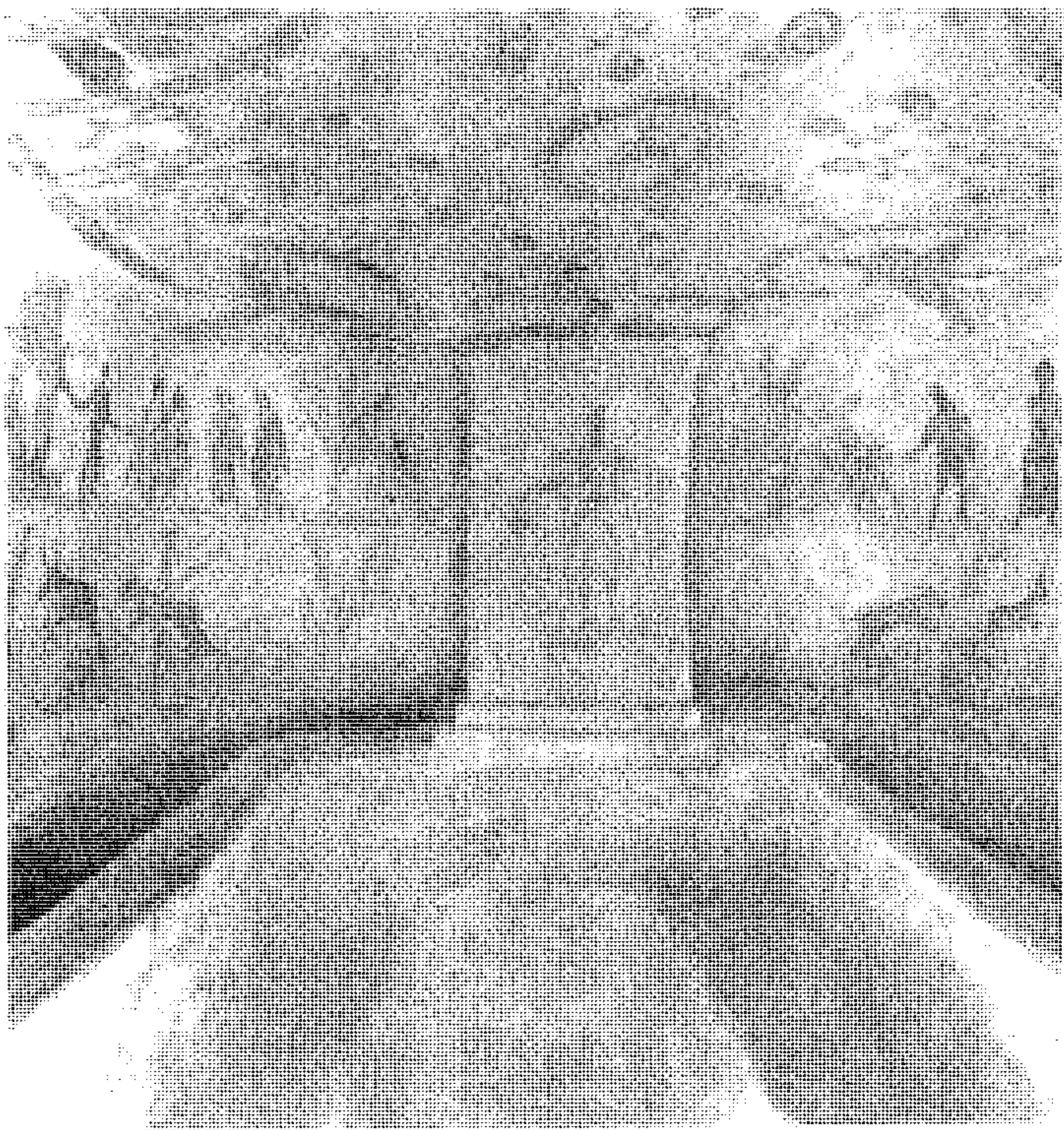
هو الكلب الذى يقوم بحراسة هاديس بن تايڤون (Typhon) وأخيدنا (Echidna) ويقال إنه كان له خمسون أو مائة رأس والبعض الآخر يقول إنه له ثلاثة رؤوس فقط وثعابين تنبت من رقبته وذيله (تين) (Dragon) وكان يحرس المدخل إلى هاديس ويدع الكل يدخل ويمنعهم من الخروج مرة ثانية وقد نزل أرفيوس إلى العالم السفلى بعد أن ألف الكلب (كيريس) العزف على قيثارته ، كما أن (انياس) نزل إلى العالم السفلى بعد أن زودته (سيبيل كوماى) بكعكة منومة للكلب (كيريس) .



شكل (٣٢)

جنزور المقبرة رقم (١)

بعض الرسومات الجدارية الملونة عشر عليها في إحدى المقابر البوذية الرومانية بنزور تصور الاله هرقل في أحد أعماله وهو إحصار الكلب (كيربيروس) حارس العالم السفلى ، ويرى في الصورة هرقل يسحب الكلب وأمامه الالهة اثينا التي تساعد في إنجاز عمله .



شكل (٣٣)

مقبرة رقم (١) بجنزور
رسم جداري ملون يمثل أحد الكهنة يضع بعض البخور في أحد المواقد .



شكل (٣٤)

جنزور المقبرة رقم (٢)

بعض الرسومات الجدارية الملونة تصور نقل الموتي عبر نهر ستسكس بالعالم السفلي .

ويصور على الجدار الجنوبي في الجزء الشرقى هرقل وهو يصطحب الكلب (كيريس) وفي الوسط نجد صورة الالهة (أثينا) والاله (مركورى) وفي الغرب صورة أخرى لهرقل يحمل (ثيسوس) أحد مريديه والمعجبين به بعد أن أطلق سراحه حيث كان قد اعتقل وبقى سجيناً هناك لمحاولته الفاشلة على حمل (بروسيا) على الفرار معه .

وفي الجدار الشمالى نجد في الجزء السفلى مناظر حيوانات متوحشة تطارد حيوانات مستأنسة وهي امتداد للمنظر السفلى على الجدار الجنوبي ، وفي الجزء العلوى يوجد رسم جدارى يصور عملية نقل الموتى فنجد قارباً به ثلاثة أشخاص ، ونرى خارون (Charon)^(١) وبعض الموتى ينتقلون ما بين الحياة الأولى والثانية ، كما نجد في شرق الجدار بعض النساء يجلسن تحت الأشجار ويقفن يتجاذبن الحديث وفي غرب الجدار يوجد ٦ أشخاص آخرين .

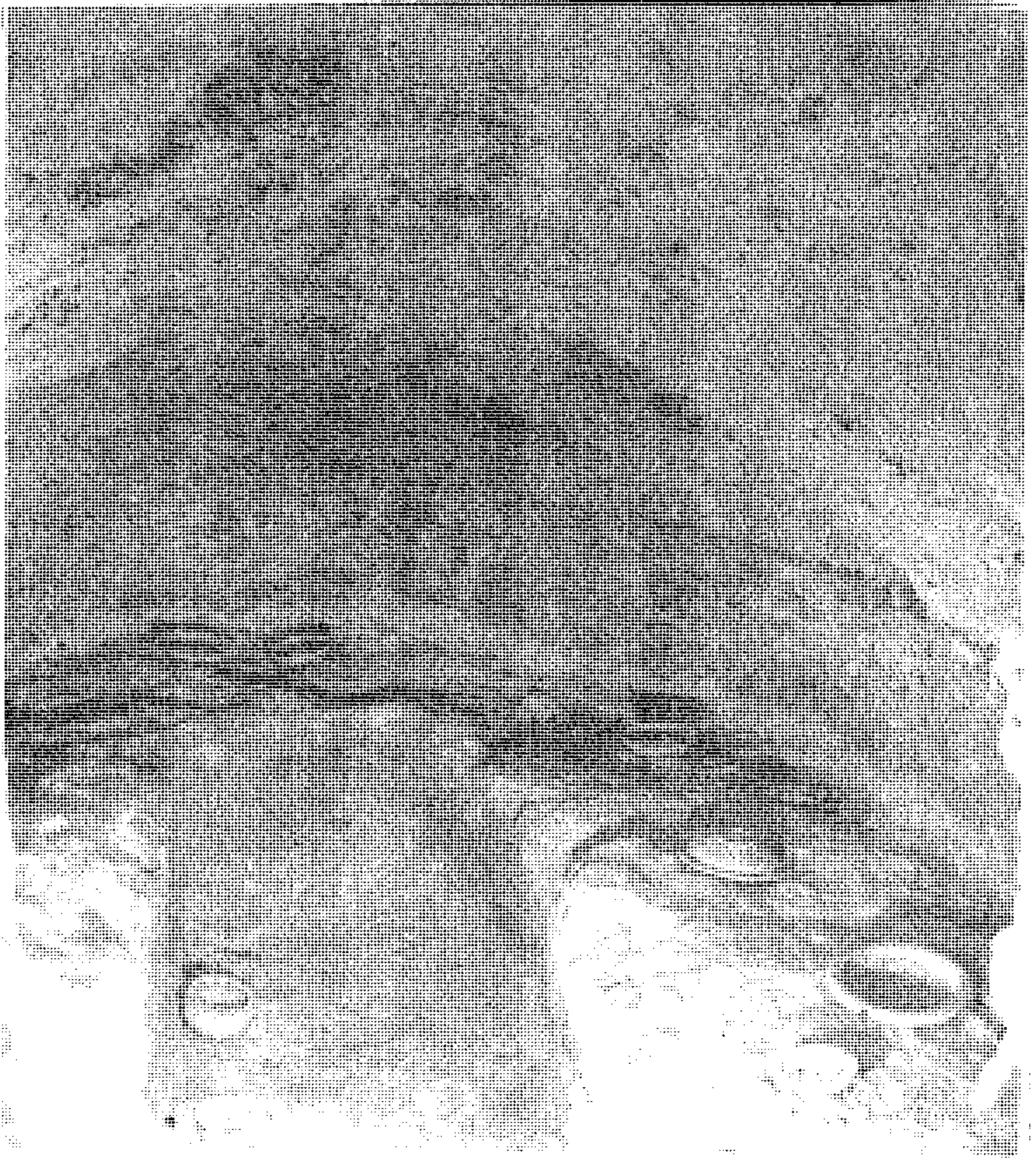
وفي الجدار الشرقى المواجه للمدخل نجد صورة كاهن يقف ويضع البخور في مبخرة مشتعلة ويلبس فوق رأسه طاقية وملابس بيضاء .

وفي السقف نجد رسومات لبعض أقاصيص من الزهور بينها آلهات مجنحات هي (فكتوريات) يحملن أغصان الأشجار وبعض الزهور وفي وسط السقف توجد دائرة من الأغصان .

من هذا يبدو واضحاً أن منطقة حفائر جنزور مرت بتغيرات تاريخية مختلفة حيث كان سكان طرابلس في ذلك الوقت لديهم معتقدات دينية متنوعة وكانوا يقومون بطقوس جنازية دينية متباينة ، وقد استمرت هذه الفترة من تاريخ البلاد حوالى أربعمئة سنة من بداية القرن الأول الميلادى حتى القرن الرابع الميلادى .

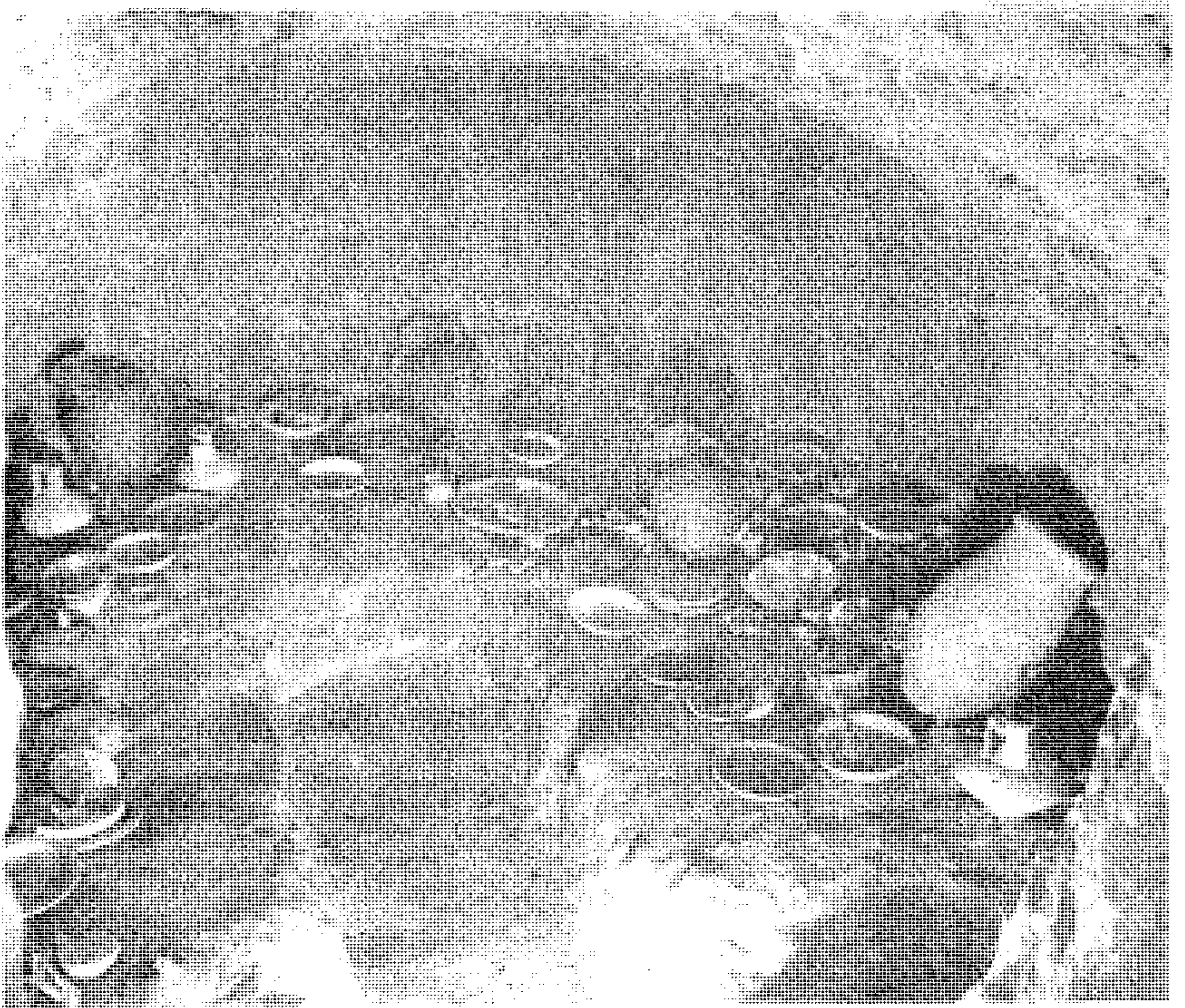
(١) خارون :

ابن (ايريبوس) (Erebus) و (نيكس) (Nyx) يعبر بالموتى عبر نهر (ستيكس) (Styx) إلى العالم السفلى وهو رجل مسن غير أنه لا يزال قوياً وثابتاً له لحية كبيرة ويلبس ملابس قصيرة وقاربه له مقدمة طويلة . وفي الأساطير اليونانية القديمة كان (هيرمس) يوصل الموتى فقط إلى نهر (ستيكس) حيث ينتظرهم خارون في قاربه على شاطئ النهر ، وكان خارون في سبيل تأدية عمله هذا يأخذ قطعة فضية صغيرة جداً . كانت توضع أسفل لسان الميت وكان خارون يأخذ الموتى إلى العالم السفلى بعد مرور مائة عام على وفاتهم ، ومن النادر أن يأخذ إنساناً حياً إلى العالم السفلى . ويوجد رسم جميل يصور خارون على قاربه يستعد لنقل رجل وامرأة ويعود هذا الرسم إلى سنة ٤٥٠ ق . م ويوجد الآن في متحف اللوفر بباريس .



شكل (٣٥)

جذور المقبرة رقم ١٥ حجرة الدفن رقم (١) .



شكل (٣٦)

مقبرة رقم ١٥ بجنزور حجرة الدفن رقم (٢) .

هذا كما عثر في طرابلس على الكثير من المقابر البونيقية الرومانية التي تشبه مقابر جنزور غير أنها للأسف قد أزيلت كلها تقريبا لأنها كانت مقابر فردية .

منطقة حفائر تاجوراء الأثرية :

تقع المنطقة الأثرية بتاجوراء في الوادى الغربى ، شرق مدينة طرابلس شمالى الطريق الساحلى مباشرة المؤدى إلى مدينة لبة الكبرى عند الكيلومتر ٣٠ ، وتعرف هذه المنطقة باسم (العشار) وهى عبارة عن شريط ساحلى يمتد على شاطئ البحر حوالى ١ ١/٢ كيلومتر ويتراوح عرضه ما بين مائة متر ، وستائة متر ، يحده شمالا البحر وجنوبا الطريق الساحلى . وتعد منطقة آثار تاجوراء من أجمل المناطق الطبيعية ، تمتاز بهوائها العليل المنعش ، كما تتوفر بها عيون المياه العذبة ، وتكثر بشواطئها الأحجار الرملية الجيرية التى تستعمل فى تشييد المباني السكنية ، كما كانت أرضية المنطقة خصبة وصالحة للزراعة ، ولهذا ازدهرت المنطقة ازدهارا عظيما ، حيث كان الأغنياء يأتون إليها من وقت لآخر للاستمتاع بشواطئ البحر صيفا والحمامات الساخنة شتاء ، ويمتعون أنفسهم بالطبيعة الساحرة ، ويخلدون إلى الراحة والاستجمام بعيدا عن صخب المدن الكبرى .

وكانت منطقة تاجوراء المركز الاستيطاني الأول شرقى مدينة أويا على الطريق الساحلى القديم الذى يصل بين مدينتى لبة وأويا ، وهى تعتبر من المدن القديمة التى كانت تبنى على شكل دارات أو (فيلات) كبيرة ريفية ذات حمامات وحدائق وحجرات وصلات متنوعة غطيت أرضيتها بالفسيفساء وجدرانها بالرخام والرسوم الجدارية ، كما كانت تزينها التماثيل والأعمدة الرخامية ، وكان الأغنياء فى العصر الرومانى مغرمين بهذه الفيلات حيث عثر على كثير منها حول معظم المدن الرومانية الكبيرة مثل مدينة روما والاسكندرية وأويا ولبة وصبراتة وغيرها من المدن الأخرى ، (١) هذا وقد بدأت الحفائر بتاجوراء فى المنطقة الأثرية فى صباح يوم ١٠ أغسطس ١٩٦٤ م ، وقد تم الكشف عن حمام جميل وفرن للجير وبعض المباني والمنازل المتأخرة ، وقد أجريت بعض الحفائر فى الحمام الثانى القريب من الحفائر السابقة وقد ظهرت آثار ثلاثة مبان أثرية هامة كبيرة ترجح أنها حمامات عامة لم يكشف عنها بعد .

(١) من أهم الفيلات التى اكتشفت فى منطقة طرابلس فيلا داربولك عميرة برليطن وفيلا باب الحديد بمدينة طرابلس ، وفيلا قرب سيدى الأندلسى بتاجوراء ، كما عثر على فيلتين بصبراتة إحداهما بجنوب الحفائر والأخرى ناحية الغرب . وفى لبة عثر على فيلا النيل وفيلا ارفيوس ، كما عثر على مجموعة من الفيلات فى منطقة سلين غربى الخمس . وفى منطقة الشرشارة بترهونة عثر على فيلا أخرى ، وفى الخضراء بقصر دوغة عثر على فيلا ثالثة .

وقد أسست هذه المنطقة في أوائل القرن الثاني الميلادي تقريبا وازدهرت كثيرا في عصر الأسرة السويرية في أوائل القرن الثالث الميلادي تبعا لازدهار مدينتي لبدة الكبرى وأويا ، وبعد موت الامبراطور (الاسكندر سيروس) سنة ٢٣٥ م سادت الامبراطورية حالة من الفوضى السياسية والصراع بين الأباطرة أدى إلى تدهور البلاد اقتصاديا واجتماعيا وقد انعكس هذا الصراع بتأثيراته السيئة على مدن طرابلس ، حيث ساد البلاد الفقر وظهر ذلك جليا في منطقة تاجوراء التي كانت تمتاز بجمال مبانيها ، ففي هذه الفترة استعملت بعض أجزاء الحمام كمساكن لبعض الفقراء وغيرت معالم بعض الحجرات لكي تستعمل في أغراض أخرى تناسب وضع البناء الجديد .

وفي سنة ٣٦٥ م دمرت هذه الحمامات نتيجة للزلزال الذي شمل منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط ويحتمل أن هذه المدينة أغارت عليها بعض القبائل المجاورة حيث نهبت ماتبقى فيها من أشياء قيمة ونفيسة ، وفي القرن الرابع والقرن الخامس الميلاديين استعملت المنطقة كمساكن لبعض الفقراء الذين استغلوا المواد القديمة من المباني وبنوا بعض الأكواخ . كما اتخذوا بعض حجرات المباني القديمة كأكواخ لسكنائهم وحفروا بعض الآبار واستفادوا من وجود المياه الطبيعية بهذه المنطقة ، ونجد الكثير من المباني والجدران والآبار التي تعود إلى هذه الفترة ^(١) .

والواقع أن منطقة حفائر تاجوراء تعتبر من أهم المعالم الأثرية التي عثر عليها بمنطقة طرابلس في الفترة الأخيرة ، ويدل على ذلك بقايا المباني الضخمة العديدة التي لم يكشف عنها بعد ، وبقايا حمام ، (امفريت) (Amrhitrite) الذي تم اكتشافه بهذه المنطقة وهو عبارة عن بناء كبير تبلغ مساحته حوالي ألف متر مربع مقسم إلى جزئين . الجزء الشمالي منخفض يطل على شاطئ البحر مباشرة وقد بنى هذا الجزء على قاعدة كبيرة من الأحجار الطبيعية قطعت في الأرض الصخرية ، وهذا القسم من الحمام به العديد من الحجرات مثل حجرات الجلوس والأكل والنوم والطبخ والمخازن ، وقد وزعت هذه الحجرات على جانبي قاعدة جميلة تتكون من جزئين ومعظم أرضيات هذا الجزء مغطاة بالفسيفساء الهندسي المتعدد الألوان . وكان هذا الجزء مخصصا لإقامة الزوار .

والجزء الثاني من الحمام هو القسم الجنوبي الذي بنى على قاعدة صخرية كبيرة ترتفع عن الجزء الشمالي حوالي ٢ متر ويصل بين القسمين سلم داخلي يتكون من عدة درجات . كما يوجد بين القسمين قاعدة طويلة تكاد تقسم الحمام إلى جزئين . وهذا القسم خاص

(١) Antonio Di Vita, in supplements to Libya Antiqua, II, La Villa della "Gara delle Nereidi" presso Tagiura, 1965.



شكل (٣٨)
أرضية من الفسيفساء تمثل الهة البحر (امفترت) تعود إلى القرن الثاني والثالث الميلادى .



شكل (٣٩)
أرضية من الفسيفساء تمثل الهة الريح عثر عليها في إحدى حجرات قبلا تاجوراء .

بالاستحمام ، به بعض حجرات الجلوس وحجرات خلع الملابس ، وحجرة الماء البارد (فريجيدي اريوم) والحجرة الفاترة (التيبيد اريوم) والحجرة الساخنة (الكاليد اريوم) وأخيرا حجرة التعريق (السود اريوم) . ويوجد حول هذه الحجرات سرداب خاصة بأفران التسخين وإقامة العمال وأحواض الماء وبئر كبير وبعض الحجرات الفرعية . كما توجد حجرة لدورة المياه فى منتصف الحمام تقريبا . ويوجد فى أقصى الجنوب الشرقى بعض الحجرات الجميلة أضيفت إلى الحمام فى القرن الثالث الميلادى . ومن أهم حجرات هذا القسم قاعات الاستقبال المغطاة أرضيتها بالفسيفساء الجميل الذى يمثل الالهة (امفتريت) الهة البحر وبعض الأسماك .

ويوجد فى شرقى الحمام جزء يتكون من بعض الحجرات أقل اتقانا من المباني الأخرى ربما كانت خاصة بالمخازن وإقامة العمال ، وأرضيات هذا القسم من الطين والجير وجدرانه من الأحجار الصغيرة غير المغطاة بالملاط . وتوجد فى جنوب شرقى الحمام بعض المباني المتأخرة غير واضحة المعالم ربما كانت مسكنا يتكون من عدة حجرات ، وأرضيات هذا القسم من الطين وجدرانه من الأحجار الصغيرة ، بعضها من المباني القديمة الملتصقة بالطين .

والجدير بالملاحظة أن حمام (امفتريت) يمتاز بجمال الموقع وحسن التخطيط وكانت أغلب أرضيات الحمام مغطاة بلوحات من الفسيفساء الجميلة ومن المناظر التى تصور الهة البحر (امفتريت) ونيريدات البحر (Nereides) فى أوضاع وأشكال مختلفة . كما كانت الجدران مغطاة برسوم جدارية ملونة ، ولا تزال بقايا هذه الآثار معروضة فى موقعها بالحمام المذكور . وقد عثر فى الحفائر على الكثير من اللقيات الأثرية مثل بعض اللوحات الجدارية الملونة وكثير من قطع العملة البرونزية والأواني والأطباق الفخارية ومصابيح الزيت وبعض الأدوات البرونزية مثل الصنانير لصيد الأسماك وآلات صنع الشباك وغيرها من الأدوات كما عثر بالمنطقة على بعض التماثيل من الرخام (القطعة رقم ١٦٣) هذا وبالرغم من أن منطقة حفائر تاجوراء تعتبر من أهم المواقع الأثرية غير أننا نجد المصادر التاريخية القديمة عن المنطقة قليلة ومحدودة جدا وذكرت فقط فى خريطة ترجع إلى العصر (الانطونينى) القرن الثانى الميلادى أيام الامبراطور كومودوس (Commodus) ١٨٠ — ١٩٢ م وتذكر هذه الخريطة أنه على بعد خمسة عشر ميلا ^(١) رومانيا شرقى مدينة اويا توجد قرية (توريس أد الحمام)

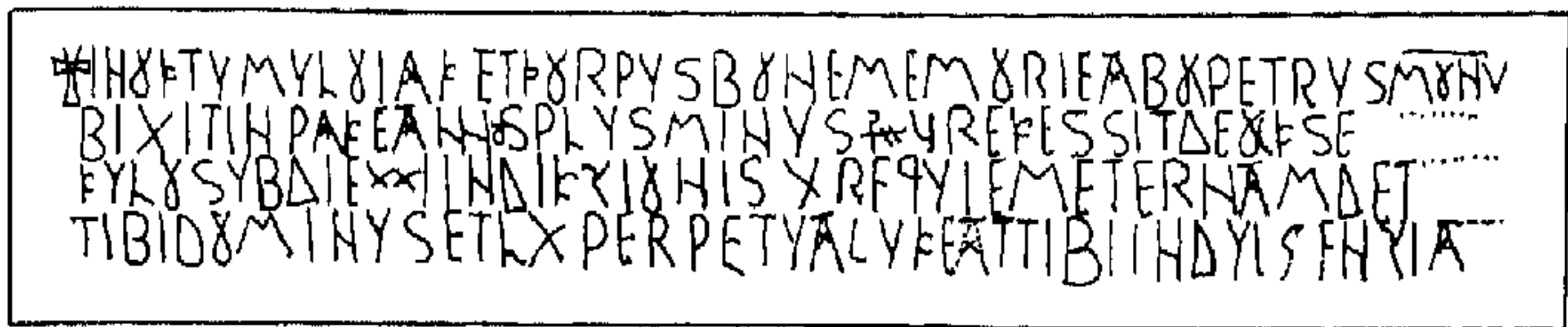
(١) الميل الرومانى يساوى ١٨٤٠ مترا .

(Turris Ad Algam) أى على بعد حوالى ٢٣ كيلومترا تقريبا شرقى طرابلس . ونعتقد أن المنطقة السالفة الذكر هي منطقة حفائر تاجوراء لأنها تعتبر أهم موقع أثري اكتشف شرقى طرابلس فى حدود المكان الذى أشارت إليه الخريطة القديمة وربما كان الطريق القديم أقصر من الطريق الحديث كما أن الفرق يعتبر صغيرا بين الموقع وتحديد الرومان لمدينة (توريس أد الجام) .

المقابر المسيحية بأرض النجيلة بالقرب من سوانى بن آدم

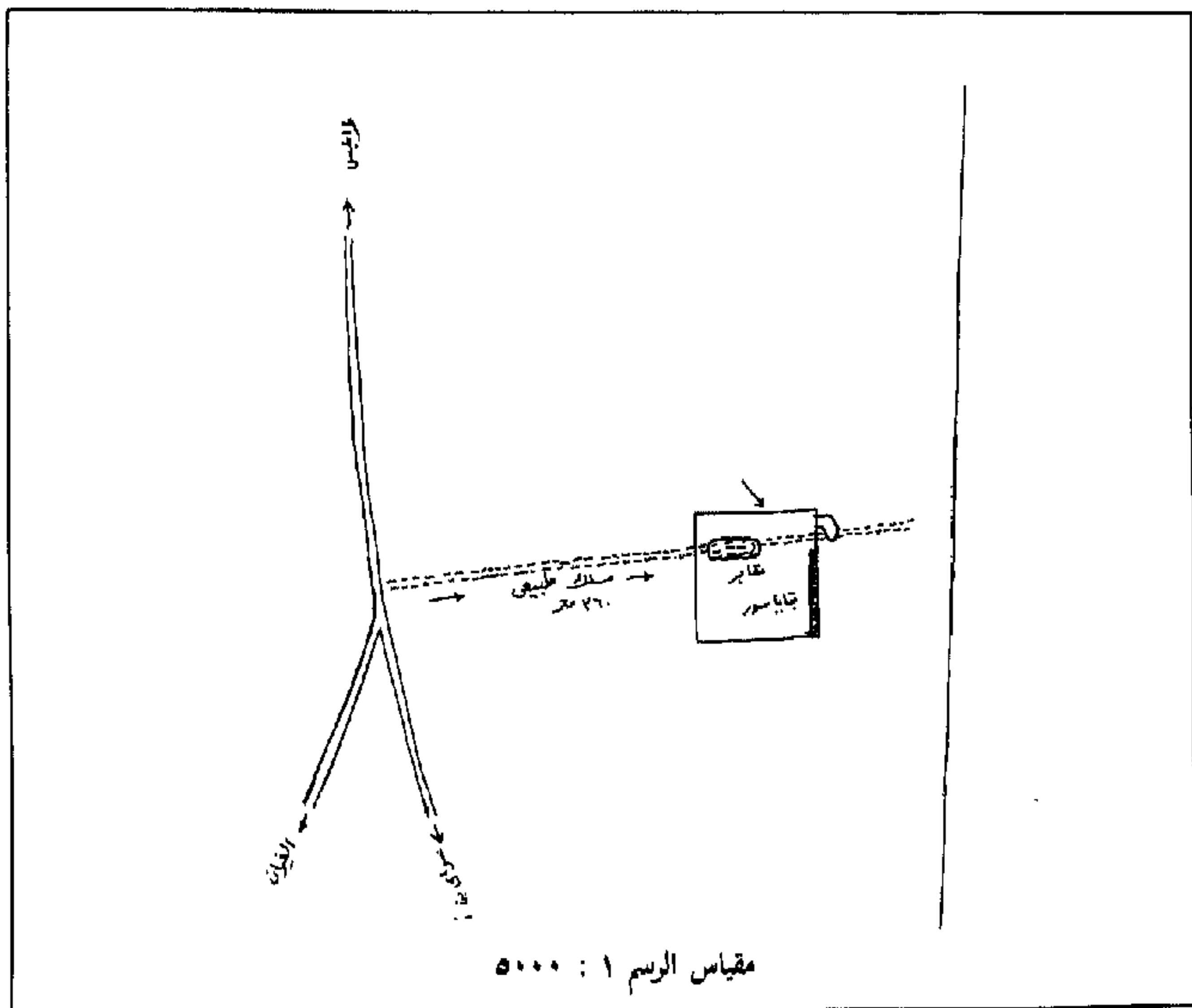
فى شهر يناير ١٩١٣ م أبلغ أحد الجنود الإيطاليين التابعين للقوات الإيطالية المراقبة بطرابلس إدارة الآثار عن العثور على كتابة لاتينية لشواهد قبور فى منطقة النجيلة الواقعة على بعد ١٨ كم جنوب غربى مدينة طرابلس وقد قام الأستاذ رومانيللى المكلف بالإشراف على المعالم الأثرية بزيارة منطقة النجيلة وقام بنشر هذا الاكتشاف سنة ١٩١٥ م ، وفى سنة ١٩٢٥ م قام الأستاذ ريناتو برتوتشيني Renato Bartoccini بزيارة الموقع الأثرى المذكور فعثر على كتابات أخرى لمقابر مسيحية ، كما عثر على ١٢ قبرا وهى تشبه القبور التى عثر عليها فى عين زارة وقد تم تسجيل بعض الكتابات اللاتينية التى يرجع عهدها ما بين ٩٤٥ م — ١٠٢١ م وقام الاستاذ بريبنى Paribeni بنشر هذه الدراسة سنة ١٩٢٧ م وهى مقابر بسيطة مبنية بحجارة مخلوطة بالرمل والجير على هيئة صناديق مستطيلة ، ويظهر القبر على شكل هرم قاعدته متساوية الأضلاع وقبل أن يحف الجير الملبس فوق الحجارة تنقش عليه كلمات لاتينية تذكر اسم الميت وتاريخ مماته تحتل فى الغالب الجهتين المستطيلتين ، ويوضع القبر بجانب الآخر فى ساحة مكشوفة إن الكتابات التى اكتشفت على القبور منقوشة بأحرف لاتينية متقنة ذات صيغة واحدة والحروف بارزة قليلا وترجع بعض شواهد القبور التى عثر عليها فى منطقة النجيلة إلى القرن الحادى عشر الميلادى^(١) وفى سنة ١٩٦٨ م تكررت الزيارة إلى أرض النجيلة التى اكتشفت فيها المقابر المسيحية حيث قامت بعثة موفدة من معهد الآثار (الرافينية والبيزنطية) بجامعة أبولونيا بإيطاليا بالتعاون مع مصلحة الآثار برياسة جوزيبي بوفينى Giuseppe Bovni للتحرى بالمنطقة المذكورة

(١) لقد بقيت الجماعات المسيحية مستقرة فى طرابلس حتى بعد دخول المسلمين إلى البلاد وقد أشار الإدريسي عن وجود جماعة مسيحية تتكلم اللاتينية فى أفريقيا فى مدينة قفصة جنوب تونس فى القرن الثانى عشر الميلادى ، أما فى طرابلس فالمسيحية لم تتجاوز القرن الحادى عشر استنادا على ما نص عليه البكرى الذى توفى سنة ١٠٩٤ م فقد أشار على وجود أقباط قرب مدينة طرابلس ، ونستدل من أقوال الرحالة التجانى بأنه كانت توجد كنائس مسيحية حتى سنة ١٣٠٩ م .



شكل (٤٠)

مقبرة النجيلة ، قبر رقم (٨) كتابة منقوشة على الضلع الجنوبي .

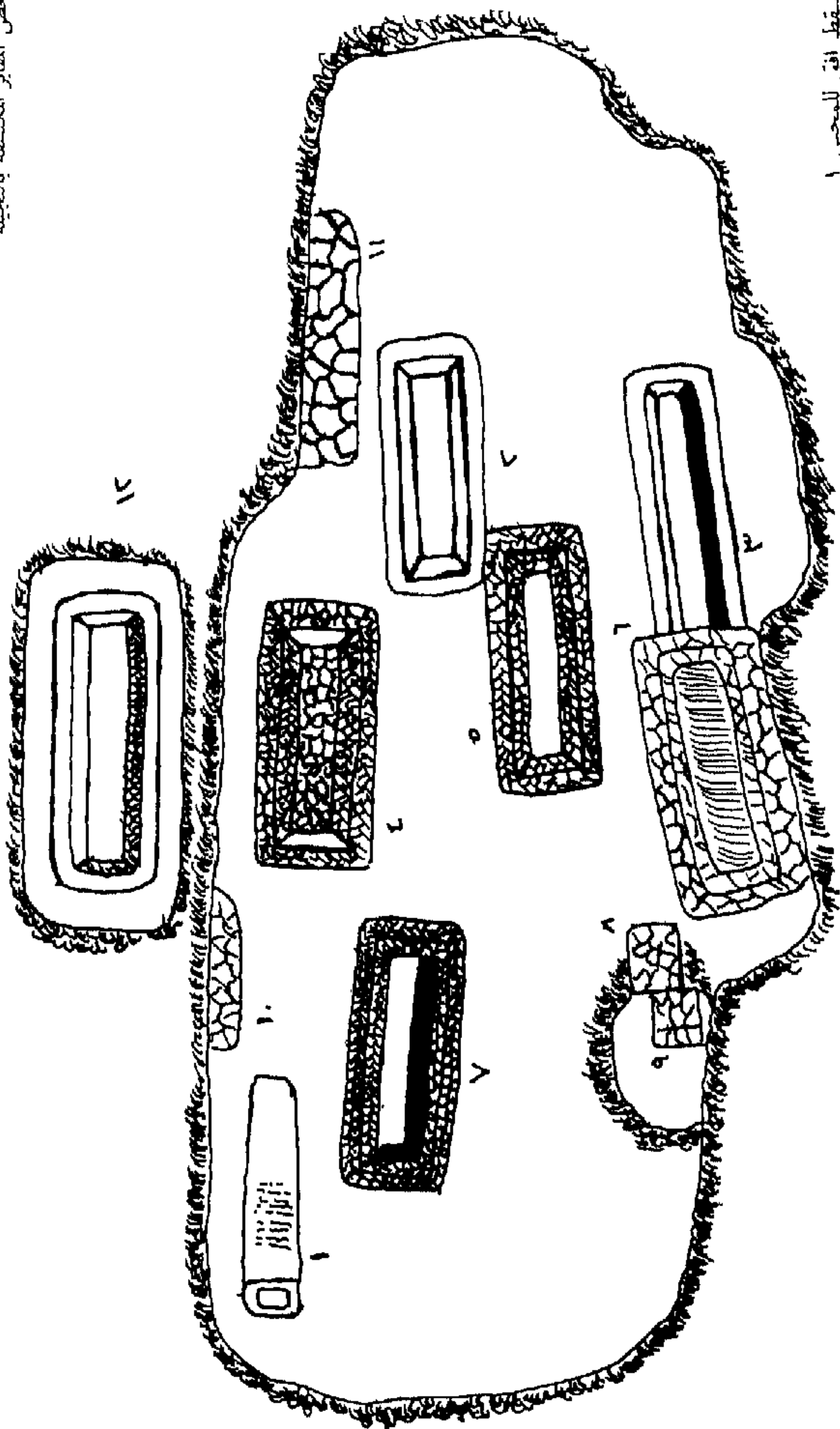


شكل (٤١)

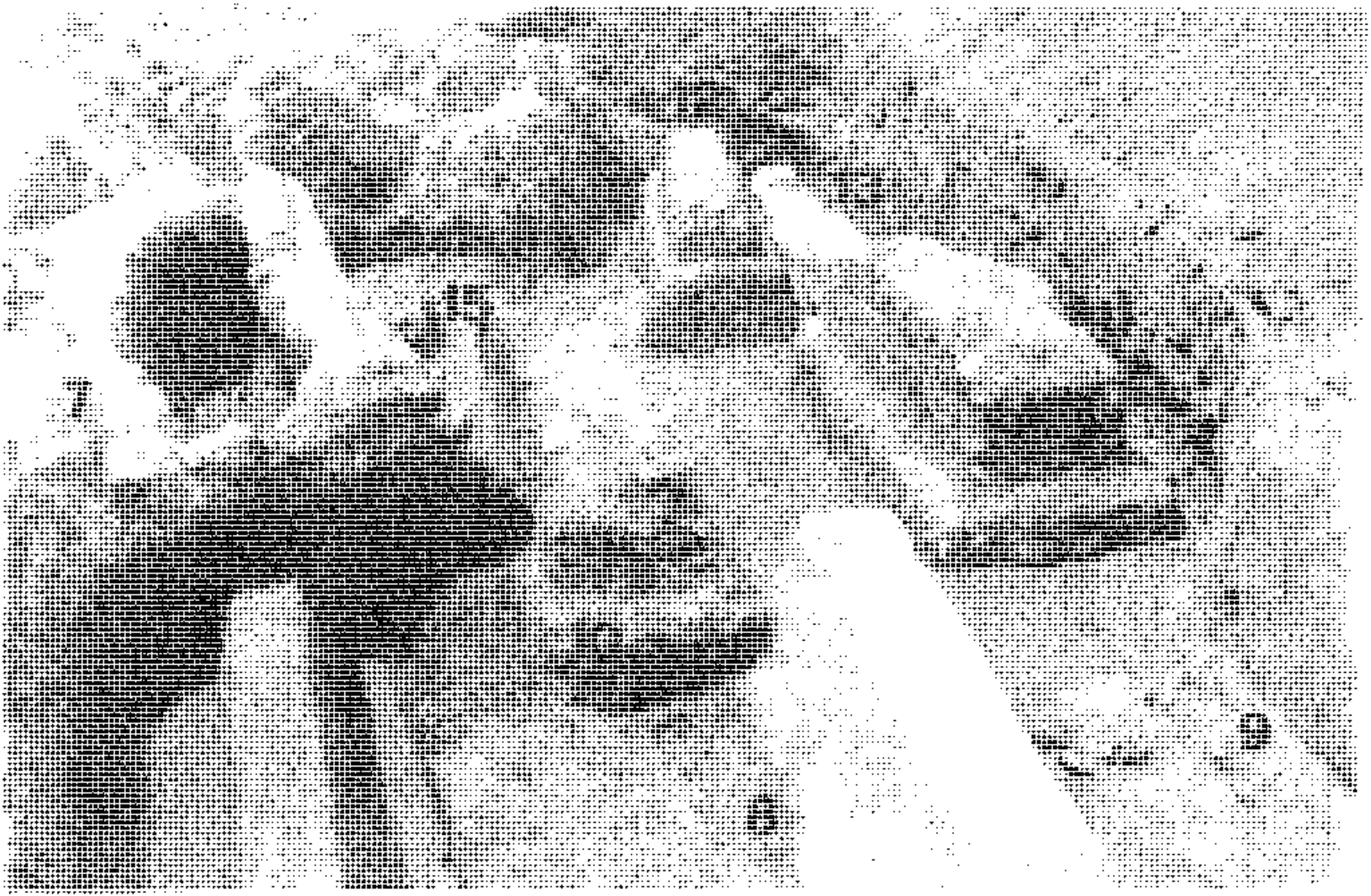
موقع المقبرة المسيحية بالنجيلة على طريق طرابلس السواني .

بعض المقابر المكتشفة بالنجيلة

مخطط افقي للمجس ١

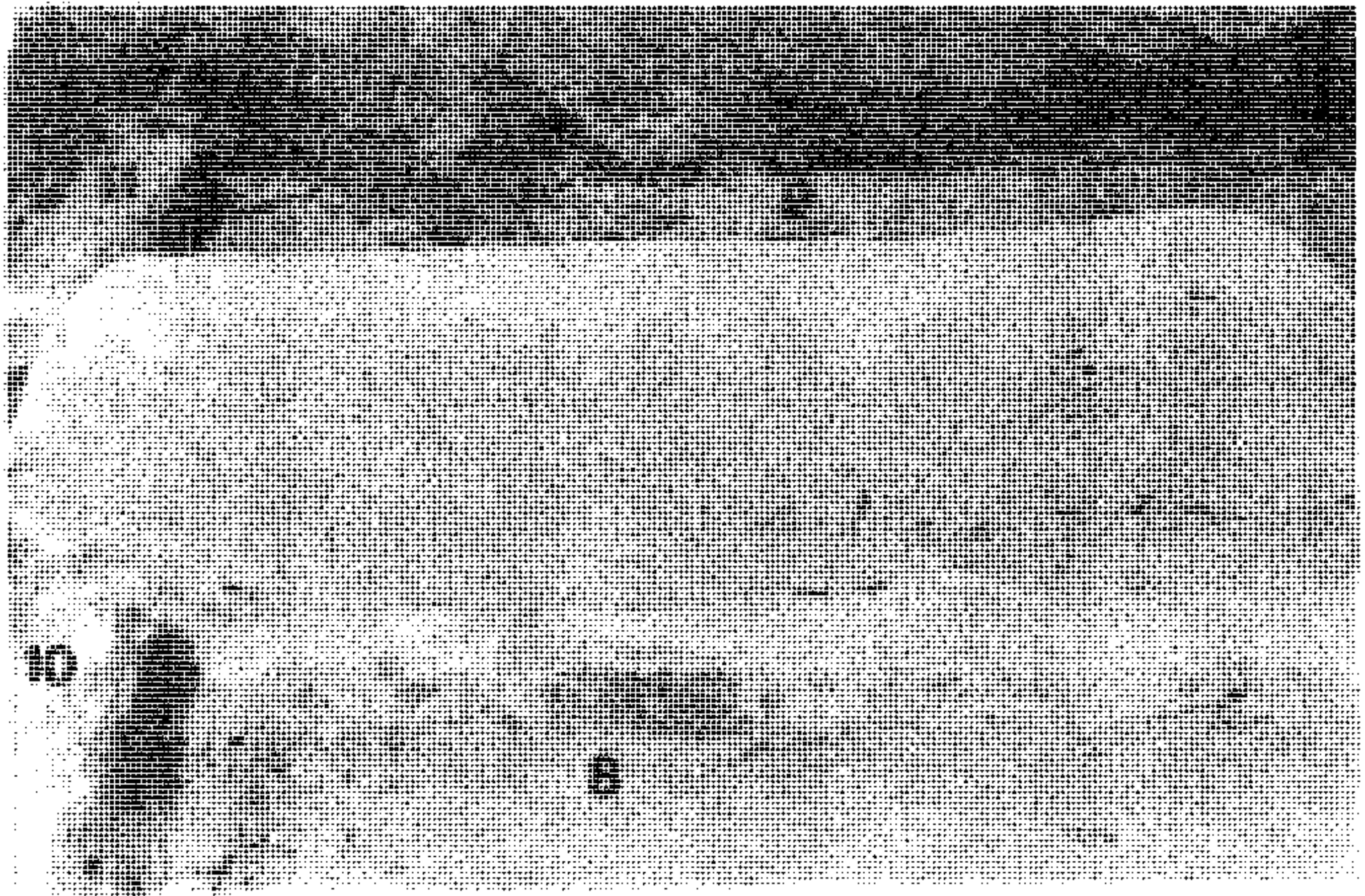


شكل (٤٢)



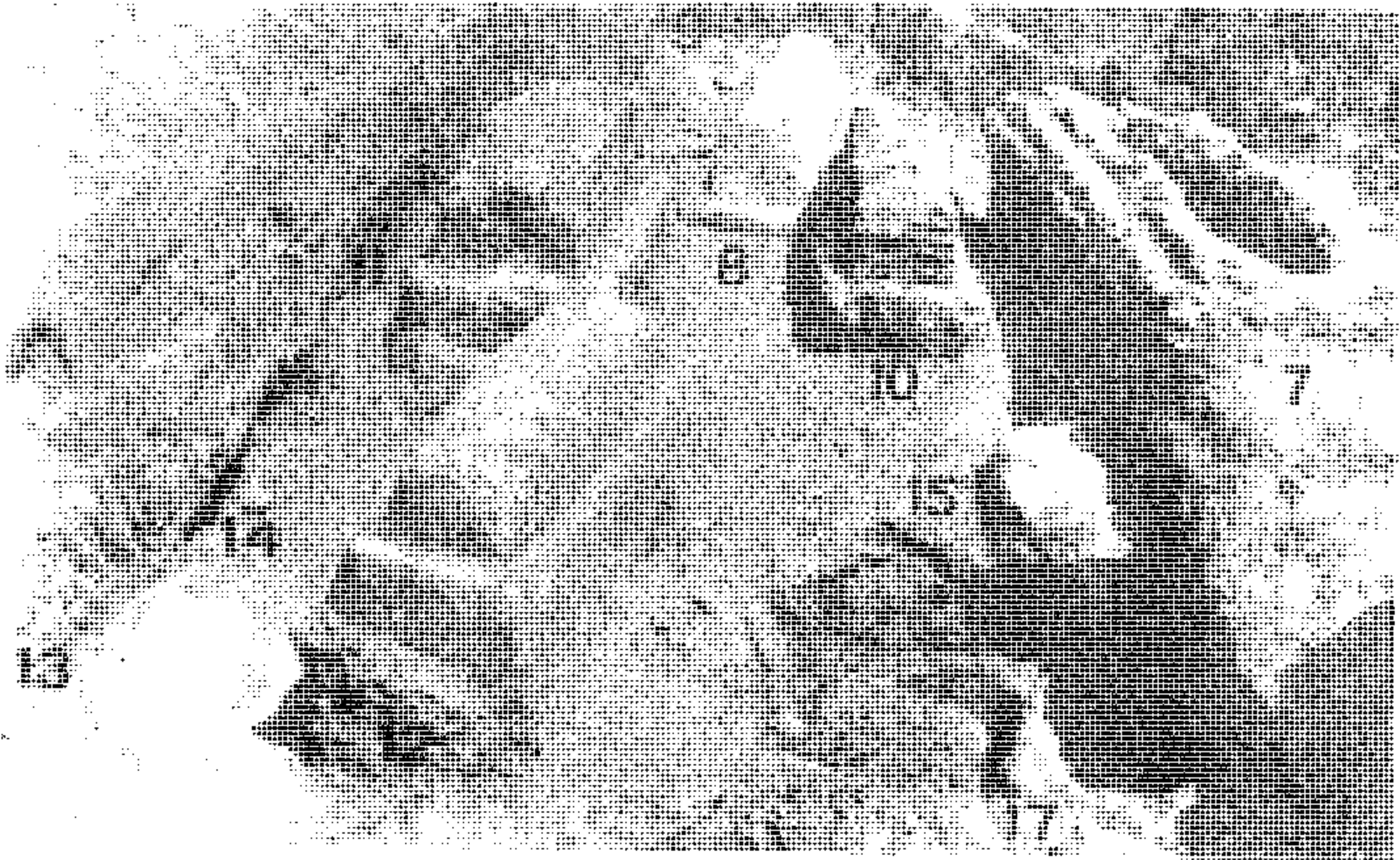
شكل (٤٣)

مقبرة النجيلا حفريات سنة ١٩٧١ م منظر الحفريات من الشرق القبر رقم
٧-٨-٩-١٠-١١-١٢-١٣-١٤-١٦ .



شكل (٤٤)

مقبرة النجيلا . القبر رقم (٨) .



شكل (٤٥)

مقبرة النجيلة بطرابلس حفريات بعثة بروجيا برياسة الأستاذ بوفيني ١٩٧١ م منظر الحفريات من الغرب القبر رقم ٧ ،
٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ .



شكل (٤٦)

مقبرة النجيلة بطرابلس حفريات سنة ١٩٧١ م بعثة بروجيا برياسة الأستاذ بوفيني منظر جزئي للمقبرة من الناحية الشمالية قبر
رقم ٧ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٥ .

واكتشفت خمسة قبور أخرى تشبه القبور السابقة ، وفي سنة ١٩٧١ م اهتمت البعثة المذكورة بالعمل بمنطقة النجيلة واستأنفت عملها السابق حيث اكتشفت عدة قبور سليمة تحت عمق غائر ، وقد تم اكتشاف ١٢ قبرا وبهذا يكون عدد المقابر المكتشفة ٢٨ قبرا ، والقبر المكتشف يشبه المقابر المكتشفة سابقا بها عبارات تأيينية مكونة من ثلاثة أسطر ، كما وجدت بعض الرسومات لأسماء ، وقد قامت البعثة المذكورة بترقيم جميع القبور المكتشفة ، وجدران القبور بصفة عامة مبنية بالجبس وعليها طبقة من الملاط ، والموتى موضوعون على ظهورهم والأدراع متعارضة على حوض الجسم ، أما حفرة الدفن فمبسطة لا يتراوح عمقها على المتر الواحد تحت مستوى سطح الأرض وهي محفورة في الأرض الرملية مع تبييض جوانبها ، وعثر داخل أحد القبور على قطع من الفخار ذي الرمل الرمادي بعضه مزخرف بخطوط مستطيلة ، كما وجدت كسر من الملاط بعض منه مدهون باللون الأحمر عليه كتابات لاتينية متأخرة^(١) وهذه الاكتشافات مهمة حيث تغطي جانبا من حياة المسيحيين في الأدوار المتأخرة من تاريخ ليبيا من بعد الفتح العربي ٢٢ — ٢٣ هـ / ٦٢٢ م .

(١) فيما يتعلق بمقبرة النجيلة انظر المقالين المنشورين في حولية رافينا .

Giorgio Gualandi, La Presenza Cristiana nell' Ifrqiya, L'Area Cimiteriale di En-Ngila (Tripoli), Estratto da "Felix Ravenna" IV serie V-VI (CV-CVI) 1973 Stab. Grafico F. LLI Lega 1973 Clementina Rizzardi. Recenti Rinvenimenti Epigrafici nell'Area Cemeteriale di En-Ngila (Tripoli).

وليبيا القديمة المجلد الخامس ص ٦٠ ، ٦١ منشورات مصلحة الآثار .

المقابر المسيحية بعين زارة

تم اكتشاف مقابر عين زارة يوم ١٢ مايو ١٩١١ ، وقد ظهرت للعيان عدة قبور متناثرة على مساحة من الأرض على جوانب جدرانها وجدت كتابة لاتينية ، ويبلغ عدد المقابر المكتشفة ١٢١ قبرا وأكثر من نصف هذه القبور وجدت في حالة سيئة .

موقع المقبرة :

تقع القابر المكتشفة في الموقع المسمى بعين زارة ، وهذا المكان يبعد عن مدينة طرابلس بمسافة ١٤ كم ، قرب الطريق الذي يؤدي إلى ترهونة ، وقد وجدت القبور على أرض منبسطة الجزء السفلى منها مغطى بالرمال ، ووجدت بقايا أوانٍ فخارية .

وعين زارة معناها عين الماء الموجودة في منطقة زارة ، وزارة تشمل الأراضي الواسعة التي تمتد نحو الشرق طوال مجرى وادي المجينين الذي يحد طرابلس من جهة الجنوب ، وكانت تسمى المساحة الموجودة بها المقبرة باسم زارة السفلى ، ويسمى الجزء الجنوبي منها بزارة الفوقية ، وعين زارة لا شك أنها منسوبة إلى تلك المناطق التي تنبع منها عين الجبانة الكائنة في اتجاه الشرق من المستنقعات المنخفضة في زارة أى المنابع التي تمتد المستنقعات بالمياه .

شكل القبور المكتشفة :

أسفرت نتيجة التنقيب بمقابر عين زارة بأن القبر وجد على هيئة صندوق مستطيل مبنى بحجارة صغيرة متماسكة باللبن ، والقبور مغطاة بتليسة من الجير في الواجهة وعلى الجانبين ، والقبور جميعها في اتجاه واحد ثابت ، الجانبان المستطيلان متجهان دائما نحو الجنوب والشمال ، والجانبان القصيران متجهان نحو الشرق والغرب ، ويكتب اسم الميت على الواجهة الجنوبية بالإضافة إلى وجود كتابة لاتينية يتوسلون بها إلى الله بأن يمنح الميت الراحة الأبدية ، وعثر على هذه القبور أيضا على رسومات تمثل أسماكاً وطاووسا مع خطوط زخرفية ، وتحتوى الواجهتان الشرقية والغربية على صلبان منقوشة ، أما طريقة دفن الميت فعادة ما يوضع رأس الميت متجها نحو الغرب ورجلاه ممتدتان نحو الشرق ، ويذكر الأستاذ

اورينجا في كتابه عن حفريات مقابر عين زارة والذي نشر سنة ١٩٣٢ م^(١) بأن مثل هذه القبور المكتشفة في عين زارة كانت مستعملة في أفريقيا البروقنصلية . وقد استعملها المسيحيون في أفريقيا . وسبق أن استعملت هذه الطريقة في أواخر القرن الثاني الميلادي أو على أقل تقدير في أواخر القرن الثالث الميلادي . وبانتشار المسيحية انتشرت عادة الدفن في ساحات من الأرض المكشوفة في شمال أفريقيا وفي شرق البحر الأبيض المتوسط ، هذا كما وجدت دهايز بنيت تحت الأرض استعملت في أوائل العهد المسيحي للدفن وجدت بعض منها على ساحل طرابلس مثل المقبرة التي عشر عليها في سرت كما عشر على مقابر أخرى من هذا النوع في الخضراء القريبة من ترهونة . وفي مدينة صبراتة الأثرية .

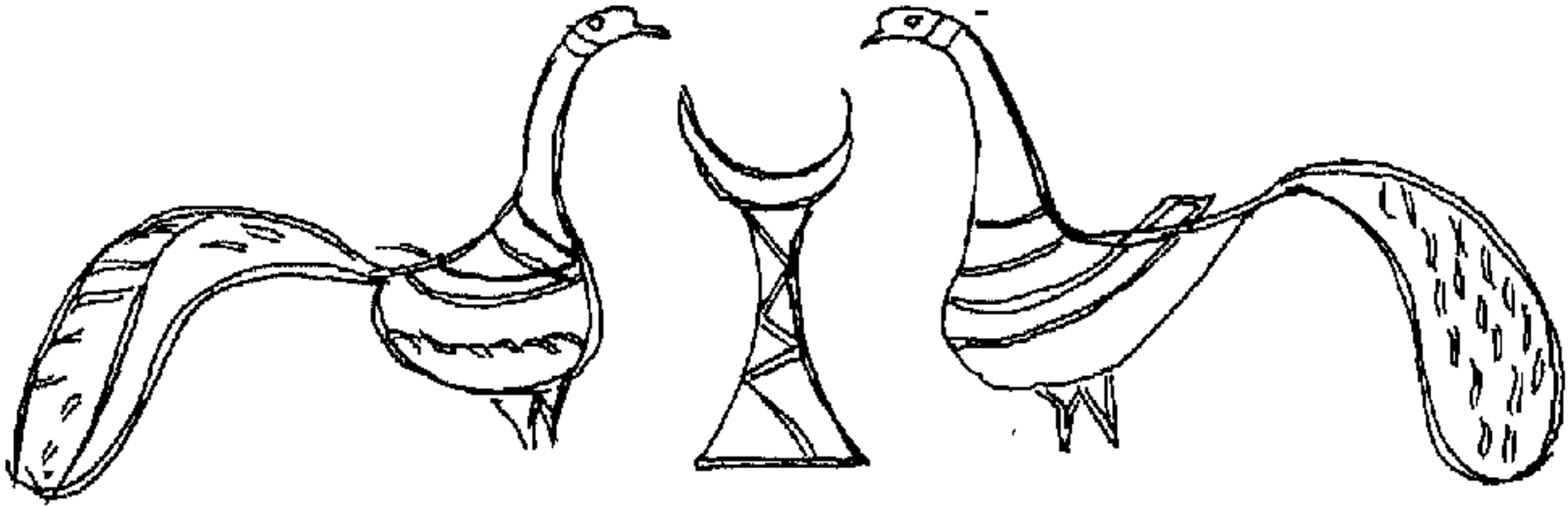
الأمكنة الأساسية التي عشر عليها في مقابر عين زارة :

أسفرت نتائج حفريات ساحة الأرض التي وجدت بها المقابر المسيحية في أفريقيا عن أنها عادة ما تنقسم إلى جزأين منفصلين أحدهما ساحة كانت تخصص للدفن الموتي يسمى (Hortus) ويوجد مكان داخل منطقة الهورتس محاط بسور يعتبر مكانا مقدسا لإقامة الطقوس الدينية الخاصة بالمسيحيين . هذا ولم يظهر للعيان المكان المقدس المذكور في مقابر عين زارة . وقد أقيمت بعض الحفريات في ٤ يناير ١٩١٣ م . ولم يتمكن الباحثون من تحديد المكان المقدس ويحتمل كما ذكر اورينجا بأن هذا المكان قد اختفى دون أن يبقى له أثر يذكر^(٢) .

(١) Salvatore Aurigemma, L'Area Cemeteriale Cristiana di Ain Zara, presso Tripoli di Barberia, Roma, 1932. Pontificio Istituto di Archeologia Cristiana.

(٢) نفس المرجع السابق .

~~Ann' oktu~~ ~~VIXIT~~ ~~KE~~ ~~TKA~~ ~~r~~ ~~Auo~~
UXNEMEMXREXPI/MA
RATSUISAMABIKISKARUS
BIXITINPAKEPLVS MINVS
ANNXSXY REKESSTOEKSEKVLX
SABAEIXMENSIS & STASREPMETER



شكل (٤٨)

كتابة لاتينية عثر عليها على القبر ٢٢ .

وطاوسان عثر عليها على القبر ٢٦ .

من كتاب سلفاتورى اوريجيا (المقابر المسيحية فى عين زارة) ص ٩٢٠ — ٩٩ .

أهم المراجع

- ١ — بلدية طرابلس في مائة عام .
- ٢ — طه باقر لبدة الكبرى منشورات الإدارة العامة للآثار .
- ٣ — دكتور مصطفى كمال عبد العليم ، دراسات في تاريخ ليبيا القديم منشورات الجامعة الليبية .
- ٤ — أحمد صفر — مدينة المغرب العربي في التاريخ دار النشر بوسلامة تونس .
- ٥ — ليبيا القديمة نشرة حولية تصدرها مصلحة الآثار طرابلس من العدد الأول حتى الثامن .
- ٦ — مجلة الأفكار العدد ١٨ طرابلس .

- 7 — D. E. L. Hayenes. The antiquities of Tripolitania, Published by Antiquities Department of Tripoli Libya.
- 8 — Merghi Antonio, Storia della Libia Tripolitania Antica, A. Arroldi Editor Verbania MCMXL-XVIII.
- 9 — Salvatore Aurigemma, Un Sepolcreto Punico-Romano Sotto il Forte della Vite. Issued by Department of Antiquities - Tripoli.
- 10 — Salvatore Aurigemma, L'Arco Quadrifonte di Marco Aurello e di Lucia Vera. Published by The Department of Antiquities - Tripoli. L.A.R.
- 11 — Notiziario Archeologico Anno II, Fasc. I-II, Roma 1926.
- 12 — Salvatore Aurigemma, L'Area Cemiteriale di Ain Zara, Presso Tripoli di Barberia. Roma 1932, Pontificio Istituto di Archeologico Cristiana.

فهرس الصور والخرائط

الصفحة	الشكل
٢٢	شكل (١)
٢٣	شكل (٢) ، شكل (٣)
٢٥	شكل (٤)
٣٠	شكل (٥)
٣٢	شكل (٦) ، شكل (٧)
٣٧	شكل (٨)
٣٨	شكل (٩)
٤٠	شكل (١٠)
٤١	شكل (١١) ، شكل (١٢)
٤٢	شكل (١٣)
٤٥	شكل (١٤)
٤٧	شكل (١٥)
٤٨	شكل (١٦)
٤٩	شكل (١٧)
٥١	شكل (١٨)
٥٢	شكل (١٩)
٥٣	شكل (٢٠)
٥٤	شكل (٢١)
٥٥	شكل (٢٢)
٥٦	شكل (٢٣)
٥٧	شكل (٢٤)
٦٦	شكل (٢٥)

فهرس الصور والخرائط

الصفحة	الشكل
٦٧	شكل (٢٦)
٧١	شكل (٢٧)
٧٦	شكل (٢٨)
٧٧	شكل (٢٩)
٧٨	شكل (٣٠)
٨٥	شكل (٣١)
٨٧	شكل (٣٢)
٨٨	شكل (٣٣)
٨٩	شكل (٣٤)
٩١	شكل (٣٥)
٩٢	شكل (٣٦)
٩٤	شكل (٣٧)
٩٦	شكل (٣٨) ، شكل (٣٩)
١٠٠	شكل (٤٠) ، شكل (٤١)
١٠١	شكل (٤٢)
١٠٢	شكل (٤٣) ، شكل (٤٤)
١٠٣	شكل (٤٥) ، شكل (٤٦)
١٠٦	شكل (٤٧)
١٠٨	شكل (٤٨)

فهرس الكتاب

الصفحة	العنوان
٥	التقديم
٧	موقع مدينة طرابلس
٨	اسم مدينة طرابلس
١١	مقدمة تاريخية عن مدينة طرابلس
١٤	الحياة العامة بمدينة طرابلس في العهد الفنيقي والروماني
٢١	سور مدينة طرابلس
٢٩	قلعة طرابلس
٣٥	المدفن البونيقي الروماني ببرج الدالية
٦١	بعض مواقع أثرية بضواحي مدينة طرابلس
٦٣	المقابر الفنيقية بباب بن غشير
٧٥	منطقة حفائر قرقارش الأثرية
٨١	منطقة حفائر جنزور الأثرية
٩٣	منطقة حفائر تاجوراء الأثرية
٩٩	المقابر المسيحية بأرض النجيلة بالقرب من سواني بن آدم
١٠٥	المقابر المسيحية بعين زارة
١٠٩	أهم المراجع
١١٠	فهرس الصور والخرائط

